علّمتني سُورة الإسراء

الطبعة الأولى
الترقيم الدولي:

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
رمضان ١٤٤٣هـ. - نيسان - أبريل ٢٠٢٢م.

يوزع مجاناً وصدقة جارية:
عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

طباعة وإخراج
وليد محمود شكشك ٠٣ ٢١ ٧٦ ٤٣

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com
www.3alamatnisourat.com

علّمتني سُورة الإسراء

جمع وإعداد
م. عامر كبّارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل مسلم ومسلمة

وأخصُّ عائلتي الكريمة الكبيرة والصغيرة، وبخاصةٍ الأحفاد الأحِبَّة الذين أرجو الله عزَّ وجلَّ أن يحفظهم ويهديهم إلى الطريق الحق الذي ارتضاه.

وأرجو الله عزَّ وجلَّ أن ينفعنا بما نقرأ، كما أسأله عزَّ وجلَّ التوفيقَ والقبول؛ إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

*****

المُقَدِّمَة

ممَّا يلفِتُ النظرَ ويجـب الانتباهُ له بحِرصٍ عند البحث والتفكُّر في سورة الإسراء فهمُ مقاصِدِ قصة الإسراء والمعراج نفسِها، فقد رافَقَ هذا الحدثَ العظيمَ أعظمُ اجتماعٍ في تاريخ البشـرية، وهو اجتماعُ أنبياءِ اللهِ تعالى، منْ لَدُنْ سيدِنا آدمَ عليه السلام، وحتى سيدِنا عيسى عليه السلام، وكانوا جميعًا ينتظرون النبيَّ محمدًا ﷺ ليُصلِّي بهم إمامًا.

ابتدأت السـورةُ بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

قصة الإسراء والمعراج:

أسـرَى اللهُ تعالى برسوله الكريم (ومعنى سرى: سار ليلًا) وهو في حالة اليقظة، بجسده و روحه معًا، من المسجد الحرام في مكة المكرمة، وقيـل: من بيـت أم هانِئٍ، أختِ سـيدِنا عليِّ بنِ أبي طالـبٍ، وكان بيتها ضِمنَ الحرمِ المكيِّ الشـريفِ، إلى المسجدِ الأقصى في بيت المَقْدِس، وكان راكبًا على البُراقِ، (وهي دابَّةٌ تشـبهُ الحصـانَ لها جناحان، جاء به سيدُنا جبريلُ عليه السلام ليَرْكَبَه الرسولُ الكريمُ ﷺ خلال رحلته هذه)،

وقد صلَّى الرسـولُ الكريـم بالأنبياء إمامًا في بيـت المَقْدِس (في مكان المسـجد الأقصَى الحاليِّ)، وقيل: صلَّى بهم بعـدَ رحلةِ المِعراجِ عندما رجع إلى الأرض.

ومن الأدلَّةِ على القِصَّة، وأنَّ إسـراءَهُ عليه الصلاةُ والسـلامُ بالرُّوحِ والجسَد، أنه رأَى عِيْرًا (جِمالًا) لقريش في الطريق، وشرب من إناءٍ لهم مُغَطًّى وهم نائمُون، وقد أَخبَر بذلك عندَ رُجوعه...

ثم عُرِجَ بالرسول الكريم من بيت المَقْدِس، من الصخرة الموجودةِ الآن في مسـجد الصخرة بجانب المسجد الأقصى في القُدْسِ الشريف، إلى السـماوات السـبْعِ، فشـاهد الرسُـلَ والأنبياءَ، ثم رأى الجنةَ، ونهْرَ الكوثَـرِ، والبيـتَ المَعمُـورَ... وشـاهد أقوامًا فيها، وسـأل جبريلَ عليه السـلام عنهم، كما شاهد أيضًا عذابَ الزُّناةِ، وآكِلِي الرِّبا، والذين يَقَعُون في الغِيبَةِ والنميمة... والعياذ بالله، ثم عُرِجَ به إلى مسـتوى كان فيه قابَ قَوسَـينِ أو أَدنَـى مِنْ سِـدْرَةِ المُنْتهَى (مكانٍ في السـماءِ السـابِعَة، واللهُ أعلم)، ولم يكُنْ معه في هذا المكان سـيدُنا جبريلُ عليه السلام، ثم رُفع عليه الصلاةُ والسـلامُ، حتى بَلَغَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، ثم أوحى الله تعالى إليه بالصلـوات الخمس، ثم نزل إلى الأرض، وعاد إلى مكةَ المكرمة، وكان ذلك كُلُّهُ في جزءٍ قصيرٍ من الليل.

وعندما عاد النبيُّ ﷺ من رحلته المباركة هذه، أَخْبرَ الناسَ، فكانت هـذه الرحلةُ فتنةً لضَعِيفِي الإيمانِ، وزيادة ثَباتٍ للمُؤمِنينَ الصادقين، أمَّا الكُفَّـارُ فزادتْ هذه المعجزةُ الجديدةُ من حِقْدِهم وحَسَـدِهم، وجمعوا الناسَ دونَ حياءٍ ليُكذِّبوه وليَسـخَرُوا منه، مع أنه صلى الله عليه وسـلم

وصفَ لهم بيتَ المَقْدِس، ولم يكُنْ هو قد زاره قَبل ذلك، وكان وصفُهُ وصفًا دقيقًا، وقد جاء ذلك من الدلائل على صحة الإسراء.

بعد ذلك أنزل الله تعالى الآية الأولى في سورة الإسراء؛ ليؤكِّد على هذا الأمر، حيث قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

وبالرَّغْم من أنَّ المعراج لم يُذكَر صراحةً في القرآن الكريم، إلا أنَّ العُلماءَ قالوا: إنه أُشِيرَ إليه في سورةِ النَّجم، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٨]، أي: لقد رأى سيدَنا جبريلَ في السماوات العُلَا.

ورحلةُ الإسراء والمعراج ثابتةٌ بالأحاديث الصحيحة المُتَواتِرَةِ، ولا يُوجَد حديثٌ واحدٌ يجمع ما ورد مِن أحداثٍ خلالَ هذه الرحلةِ المُبارَكة، وإنما هي مجموعة من الأحاديث يشير كلٌّ منها إلى جانب أو جزء من تلك الرحلة.

مكانة المسجد الأقصى عند المسلمين:

إنَّ للمسجدِ الأقصَى قُدْسِيَّةً كبيرةً عند المسلمينَ مُرتبِطَةً بالعقيدة منذ بداية الدَّعوةِ، فهو قِبْلَةُ المسلمين الأُولَى التي صلَّى إليها النبيُّ الكريم قبل أنْ تنتقل الصلاة إلى جِهَةِ الكعبةِ الشريفة في مكة المكرمة، ويُعَدُّ المسجد الأقصى ثالث أقدسِ البِقاع بعد الحرمين الشريفين، قال

رسـول الله ﷺ: «لَا تُشَـدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مَساجِدَ: مَسجِدِ الحرامِ، ومَسجِدِي هذا، والمسجِدِ الأقصى» [رواه البخاري ومسلم]، (مسجِدِي هذا: المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة).

يجب الانتباهُ إلى أنَّ صلاةَ سـيدِنا محمدٍ ﷺ بالأنبياء - كما وردتْ في قِصةِ الإسراء والمعراج - ما هي إلا عنوانٌ لانتقال الرسالةِ إلى الأُمَّة المحمَّديَّة، واستلامِ النبيِّ ﷺ لواءَ قيادةِ البشريَّةِ في هذا المكان المبارك (المسـجد الأقصى)، وهذا ما أشـار إليه الأسـتاذ عمرو خالـد في كتابه «خواطر قرآنية».

إنَّ سـورةَ الإسـراءِ هي أكثرُ سـورةٍ ذُكِرَ فيها الكتابُ (أي: القرآن)؛ فقد تكرر ١١ مرَّةً، وفي ذلك دلالة على استشعار قيمةِ القرآنِ؛ فيجب ألَّا نُفرِّطَ فيه كما فعلت الأممُ السابقةُ بكُتُبِها، فيستبدِلَنا اللهُ كما استبدَلَهُم.

وفي الآية الثانية مِن هذه السـورة نرَى قولَه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾، لقد جاءت هذه الآية بعد حادثة الإسـراء، وذَكَـرَت الأمةَ التي كان معها الكتـابُ مِنْ قَبْلُ، وهم بنو إسـرائيلَ، فكيف وصل الكتـابُ إليهم؟ قال تعالى في الآية الثالثة: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾، أي: عن طريق الأنبياء والرسـل من ذرية نوح، الذين أُرسِلوا إلى بني إسرائيل.

وكأنَّ هـذه الآيـاتِ الثلاثةَ تصويرٌ مادِّيٌّ لحركة انتقـال الكتابِ عَبْرَ الأُمم.

ثم ذَكَر بعدَ ذلك سببَ نَزْعِ الرسالةِ من بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾. (الكتاب هنا هو الكتاب الذي أُنزل على بني إسرائيل).

وتمضي الآياتُ من ٤ – ٧ لِتُصوِّرَ تَضْيِيْعَ الأُمةِ السابقةِ لهذه الأمانة، إلى أنْ نَصِلَ إلى آيةٍ مِحْوَرِيَّة، وهي الآية ٩، لِتُعْلِن مسؤوليةَ أُمَّة الإسلام عن الرسالة (الكتاب –وهو هنا القرآن الكريم–) فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

إذَنْ، علينا التمسُّكُ بهذا الكتاب، والاعتصام به؛ فهو يهدي المسلمين والبشرية أجمعين للَّتي هي أَقْوَمُ.

ثم تتكلَّم السورةُ عنْ عَظَمَةِ هذا الكتاب (القرآن)؛ لأنَّه يأمُر بما تَقْتَضِيهِ كلُّ فِطْرةٍ سليمةٍ، فمِنْ هذه الأوامرِ:

١) برُّ الوالدَين، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢) استعمالُ المالِ في أَوْجُهِ الخَير، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣) الاعتدالُ في الإنفاق، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

﴿ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

٤) عدمُ قتلِ الأولادِ خَشيةَ الفقرِ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

٥) عدمُ الاقترابِ من أماكن الفجور والزِّنى، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٦) عدمُ قتلِ النَّفسِ إلا بحق، وعن طريق الحاكم، ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

٧) عدمُ أكلِ مالِ اليتيم، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

٨) الوفاءُ بالمكاييلِ والمَقاييسِ والمَوازين والأوقاتِ، ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾.

٩) عدمُ الخوضِ في الكلام لمن ليس له به عِلْمٌ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

١٠) عدمُ التكبّر والتعالي، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

فمَنْ يرفُضُ مثلَ هذا الكلام؟ وكيف يمكِنُ للمسلمين أنْ يَهجُروا هذا الكتابَ (القرآن)، وهو يأمُرُهُم بكُلِّ هذا الخيرِ، وينهَاهُم عمَّا فيه ضَرَرُهُم وهَلاكهم؟!

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾، لذلك نرى تعقيبًا رائعًا

على كلِّ ما سبق: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾، فكلُّ ما سبق ذِكْرُهُ مِنَ الحكمةِ، وكلُّه يؤدِّي بالإنسان إلى أنْ يعيشَ حياةً كريمةً في الدنيا والآخرة، فهل أدرَكْنا عَظَمَةَ هذا القرآن؟ وربُّنا سبحانه وتعالى يخبرُنا أنَّ الخيرَ كلَّ الخيرِ موجودٌ في القرآن، فإذا غفلنا عنه: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾، فمَصِيرُ الغافِلِ الشقاءُ في الدنيا، والنَّارُ في الآخرة.

كما اشتمَلَ القرآنُ على أَسرار التاريخ وسُنَنِ قيامِ الحَضارات، ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾.

القُرآنُ شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾، لمْ تَرِدْ لفظةُ الشفاءِ في القرآن إلا للعَسلِ والقرآن؛ لأنَّ العسل شفاءُ الأبدانِ من الأمراضِ، والقرآنَ شفاءٌ للقلوب ودواءٌ لأرواح المؤمنين الذين يعرفون قِيمَتَهُ.

والآياتُ التي ذكرت عَظَمَةَ القرآنِ كثيرةٌ في السورة، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾.

فعَلَى المسلم أن يفتخِرَ بهذا التحدِّي الذي لا يزالُ قائمًا إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ

أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾.

وبما أن المسلمين قد تحملوا مسؤولية حَمْلِ القرآن، فينبغي أن نُكْثِرَ من قراءته، ليس في رمضانَ فقط، بل في كل الشهور، وينبغي أن نتدبَّره، ونعمل به، ونعلِّمَه لمَنْ حولَنا.

وخِتامُ السورةِ يُذكِّرُنا بأشخاصٍ أحبُّوا القرآنَ حبًّا شديدًا، وفهموا الهدَفَ منه، فتفاعلوا مع كتاب الله تفاعلًا صادقًا، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩﴾، فإنْ لم نكُنْ كأحِبَّاء القرآنِ الذين ذُكِروا في الآياتِ السابقة، فإنَّ الآياتِ نَفْسَها تُحذِّرُنا من الاستبدال، ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُواْ﴾.

فالأمَمُ السابقةُ قَصَّرَتْ في حِفظِ الكتاب وتَدَبُّرِهِ وتَبليغِهِ، فَنُزِعَ منها إلى الأمَم التي تليها، فالَّتي تليها، حتى وصل إلينا، فماذا لو قصَّرَتْ هذه الأمة - أُمَّةُ سيدِنا محمدٍ ﷺ - في حَمْلِ الأمانة؟! لا نهضةَ لأُمَّتِنا، ولا عِزَّ، ولا خُروجَ من الظلماتِ إلى النور، إلا بهذا الكتاب، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١].

وممَّا يُؤسَفُ له أنه بَعْدَ النظَرِ في قصة الإسراءِ والمِعراج التي ذُكِرَتْ في هذه السورة، وتفاصيلِهَا، ومحاوِرِها، وأَهدافِها، - ومِثْلُها في جميع ذلك سورةُ النَّجمِ - واجتماعِ جمهورِ العلماءِ علَى حَقائِقِها، نجِدُ أن

بعض المثقفين من المسلمين يُشَكِّكُونَ ببعض تفاصيل قصة الإسراء والمعراج، وقدسيَّةِ المسجدِ الأَقصَى!!

إذَنْ، لابُدَّ للشباب المسلم الذي قرأ سورةَ الإسراءِ وفَهِمَ مُرادَ ربِّنا منها، أنْ يتعامل مع آخر كتاب، وهو القرآنِ من الآنَ بجِدِّيَّةٍ مُتناهية، وأن يَنذُرَ حياتَه ليكون من أهلِ القرآنِ الذين هُمْ أهلُ اللهِ وخاصَّتُهُ.

ومُجْمَلُ القولِ في هذه السورة المباركة: أنها اشتملتْ على كثير من التوجيه والإخبار للرسول ﷺ وأتباعِهِ مِنْ بَعده، كما سيأتي تفصيلُه لاحقًا في هذا الكتاب، وأنه لم يكنْ بِدْعًا من الرُّسُلِ في تعرُّضِه للإعراض والأَذيَّة، كما لم تكن أُمَّتُه في ذلك بِدعًا من الأمم؛ فما أُرسِل رسولٌ إلا وتعرَّض - وأتباعَه - للاستهزاء والابتلاء والتكذيب، لكنَّ نَصْرَ الله تعالى ما يلبَثُ أنْ يأتيهم فتكونَ لهم أحسنُ العاقبة، ولمخالفيهم الخُسرانُ، وذلك إن أطاعوا اللهَ تعالى ورسولَه ﷺ، وثبتوا على الحقِّ، ولمْ تَغُرَّهم المُغْرِياتُ، فَحَمَلَةُ الحقِّ هم الأكثرُ عُرضَةً لظلم الجبابرة، واضطهادِ الطُّغاةِ، وهم هدفٌ لأطماعِ الأعداء والمنافقين، ولكنَّ وَعْدَ اللهِ للمؤمنين بالنصر والتمكين والاستخلاف قائمٌ ما استمسكوا بالحقِّ، وصبروا وثبتوا عليه، وانْتَهَجُوهُ في نفوسهم، وسَعَوا إلى إقامته في المجتمع، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

هذا، وقد قُمْنَا بجمع الموادِّ العِلميةِ لتفسير سورة الإسراء ومقاصدِها وأهدافِها من عِدَّة مصادرَ، ووضعناها في هذا الكتاب، كما يلي:

الجـزء الأوَّل: الآيـاتُ، وأسـبابُ النزولِ، وفَضْلُ السـورة، وتفسـيرُ الكلمـاتِ، وبعضُ هدايةِ الآياتِ، من عِدَّة مصادرَ أهمُّها موسـوعة «أيسـر التفاسير للقرآن الكريم» لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري -رحمه الله تعالى-.

الجزء الثاني: التفسـير الموضوعي من كتاب (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى -.

الجـزء الثالـث: التفسـير التفصيلـي، وقـد نقلنـاه (بتصـرف) عن محاضـرات وكتابـات الدكتـور محمـد راتب النابلسـي - حفظـه الله تعالى -.

وقد قام السيد طلعت إبراهيم الجربوع، بجهد مشكورٍ في المساعدة بكتابـة هذا الكتاب، وقـام بمراجعته وضَبْطِه الأسـتاذ محمد عماد قلب اللوز، الأسـتاذ في الشريعة واللغة العربية، فجزاهما الله تعالى كلَّ خيرٍ، ونسألُ الله تعالى القبولَ، والحمد لله ربِّ العالمين.

سورة الإسراء

١- آياتُها:

هي السورةُ السابعةَ عشرَ، ضِمنَ الجزء الخامسَ عشرَ من القرآن الكريم، ويبلُغ عددُ آياتها (١١١) آية، وهي من سُوَرِ المِئِيْنَ، (أي: السُّوَر التي آياتها في حدود المئة)، وهي من السُّوَر المكيَّة، وقيل: إنَّ بعضَ آياتِها (٣٢ - ٣٣ - ٥٧) نزلت في المدينة، والله أعلم، واستثنى الإمامُ السُّيوطِيُّ منها: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴿٧٣﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴿٨٥﴾﴾، لِمَا جاء في قولِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، أنها نزلت في جواب سؤال اليهود عن الرُّوح، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴿٨٨﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴿١٠٧﴾﴾، والله أعلم.

٢- تسميتها:

٢-١: سميت بـ (الإسراء) لورود حادثة الإسراء فيها، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴿١﴾﴾.

٢-٢: وسمِّيت أيضًا بـ(سورة بني إسرائيل)؛ لحديثها عنهم، وبيانِها لفسادِهِم في الأرض، ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٤﴾﴾، وفي حديث السيدة عَائِشَة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» [رواه الترمذي].

٢-٣: وسمِّيت سورة (سبحان)؛ لأن السورة ابْتُدِئَت بهذه الكلمة.

٣- أسباب النزول:

نزلت هذه السورة مُفَرَّقةً على عِدَّةِ مراحلَ، ولمناسباتٍ مختلِفة.

وقد ورد سببُ نزولِ بعضِ الآيات، مِنْ ذلك:

١-٣: جاء في تفسير البحر المحيط، أن الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، نزلت في إسراء النبي ﷺ، وكان ذلك بمكة؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ قد ذكر ما شاهد في الإسراء والمعراج لقُريشٍ فكذبوه، فأنزل الله هذه الآياتِ تصديقًا له.

وقد ورد في كتاب أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري أسباب نزول الآيات التالية:

٢-٣: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٥٣﴾﴾، نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنَّ رجُلًا من العرب شتمه، فأمره الله تعالى بالعفو، وقال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣-٣: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾، قال القرطبي: لما ابتليت قريش بالقحط وشكوا لرسول الله ﷺ، أنزل الله هذه الآية، [أخرجه البخاري].

٤-٣: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ ﴿٥٩﴾﴾، عن ابن عباس قال: سأل أهلُ مكةَ النبي ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذَهبًا، وأن يُنَحِّيَ الجبالَ عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئتَ أن نَسْتَأْنِيَ بهم، وإن شئت أن يأتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما هلك مَن كان قبلَهم من الأُمم. قال: «لا، بل أَسْتَأْنِ بهم (أي: أَمْهِلْهم وترفَّق بهم)»، وأنزل اللّه تعالى هذه الآية. [أخرجه أحمد والنسائي].

٣-٥: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾، لمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى (الزَّقُّوم) خَوَّفَ به هذا الحيَّ مِنْ قريشٍ، فقال أبو جهلٍ: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يُخوِّفُكم به محمدٌ؟! قالوا: لا، قال: الثَّرِيدُ بالزُّبدِ، أَمَا واللهِ لَئِنْ أَمْكَنَنَا منها لَنَتَزَقَّمَنَّها تَزَقُّمًا (الابتلاع السريع)، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

٣-٦: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴿٧٣﴾﴾، قال قتادة: ذُكِر لنا أن قريشًا خَلَوا برسول الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ إلى الصُّبح يُكلِّمونه ويُفَخِّمُونَه ويُسوِّدُونَه (يفطِّمونه) ويُقارِبُونه (يتودَّدون إليه)، فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحدٌ من الناس، وأنت سيدُنا يا سيدَنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عَصَمَهُ الله تعالى عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣-٧: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴿٧٦﴾﴾، قال مجاهد وقتادة والحسن: هَمَّ أهلُ مكةَ بإخراجِ رسولِ الله ﷺ من مكةَ، فأَمَرَهُ اللهُ تعالى بالخروج، وأنزل عليه هذه الآية إخبارًا عما هَمُّوا به.

٣-٨: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، عن ابن عباس: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سَلُوهُ عن الروح، فنزلت هذه الآية.

٣-٩: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾﴾، قال أهل التفسير: قيل لرسول الله ﷺ: إنكَ لَتُقِلُّ ذِكْرَ الرحمنِ، وقد أَكْثَرَ اللهُ في التوراة هذا الاسمَ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٤- فضل السورة:

٤-١: كان النبيُّ ﷺ يقرؤها قبْل أن ينام، ومن حديث السيدة عَائِشَة

رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» [رواه الترمذي].

٢-٤: أن الرسولَ ﷺ دخل الكعبةَ يوم فتح مكةَ، وجعل يهوي بعصاه على الأصنام، وكان يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

٣-٤: فيها بيانُ أنَّ القرآنَ شفاءٌ للمَرضَى، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

٤-٤: عن أبي هريرة رضي الله عنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَرَبَنِي (أحزنني وأغمَّني) أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴿١١١﴾﴾». [رواه البيهقي]، وهذا الحديث دليل على فضل سورة الإسراء في حالات الشدة والضيق.

٥-٤: عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه قَالَ - في بَنِي إِسْرَائِيلَ، والكَهْفِ، ومَرْيَمَ -: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وهُنَّ مِن تِلَادِي. [رواه البخاري]، أي: من قديم ما أُخِذَ من القرآن، ومِنَ المفضَّلات، و (تلادي) أي: أول ما تعلمتُه.

٦-٤: عن العِرْباض بن سارية أن النبي ﷺ كان لا ينامُ حتَّى يقرأ المسبِّحاتِ، ويقولُ: فيها آيةٌ خيرٌ من ألفِ آية. [رواه الترمذي].

٥- آيات الأحكام الموجودة في السورة:

الآية	النص	الباب	الموضوع
٣٣	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾	القصاص	تدل على حرمة قتل النفس البشرية، ويُستثنَى من الحرمة القتلُ بالحقِّ - من قِبَل أولي الأمر -.
٣٤	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾	أحكام العهود	تدل على وجوب الوفاء بالعهد.
٧٨	﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾	الصلاة	تدل على شرطية أن تؤدَّى الصلوات الخمس في أوقاتها.
١١٠	﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾	القراءة في الصلاة	تدل على حالة الوسط في القراءة في الصلاة، والجهر في بعضها والإخفات في بعضها الآخر.

٦- محاور السورة:

تـدور معظمُ موضوعات سـورة الإسـراء حـول عقيـدة التوحيد، وتكريـمِ اللهِ تعالى لنبيِّـه محمدٍ ﷺ، وتثبيتِه، وعلى تعظيمِ شـأنِ القرآن الكريـم بوصفه مصـدَرَ الهداية والنجـاة، بالإضافة إلى قواعد السـلوك الفـرديِّ والجماعيِّ وآدابه القائمة على العقيدة، إلى شـيء من القصص عن بني إسرائيل، وطرفٍ من قصة آدم وإبليس، وتكريمِ الله للإنسان.

الآية	محاور السورة
١	معجزة الإسراء.
من ٢ إلى ٨	الحديث عن بني إسرائيل.
من ٩ إلى ١٠	مهمة القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى هدايةً للعالمين.
من ١١ إلى ٢١	آيات الله في الكون، وسُنَّتُهُ في عباده عند الانحراف.
من ٢٢ إلى ٢٤	توحيدُ الله وبرُّ الوالدين.
من ٢٥ إلى ٣٩	آدابٌ وأخلاقٌ في الأُسْرة والمعاملات.
من ٤٠ إلى ٦٠	الردُّ على المشركين، ودليل وحدانية الله واصطفائه لأنبيائه.
من ٦١ إلى ٦٥	السجود لآدم، وامتناعُ إبليسَ، وعَداوتُهُ للبَشر.
من ٦٦ إلى ٧٠	مِنْ نِعَمِ الله على عباده، وجحودُ الإنسان.
من ٧١ إلى ٧٢	مسؤولية كلِّ إنسان عن عمله يوم القيامة.
من ٧٣ إلى ٨٩	محاولةُ فتنةِ الرسول ﷺ، وتوجيهاتُ الله له وتأييدُهُ.
من ٩٠ إلى ١٠٠	عنادُ المشركين، وطَلَبُهُم المعجزاتِ، والردُّ على شُبُهاتِهم.
من ١٠١ إلى ١٠٤	حوارٌ بين موسى وفرعون.
من ١٠٥ إلى ١٠٩	نزول القرآنِ مفرَّقًا، وأنه شفاء للمؤمنين.
من ١١٠ إلى ١١١	دعاء الله بأسمائه الحسنى، وحَمْدُهُ على وَحْدَانِيَّتِهِ.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

معاني الكلمات:

١- سُبْحَانَ: تنزَّهَ وتَقَدَّس اللهُ تعالى عن كلِّ ما لا يليق بجلاله وكماله.

١- أَسْرَىٰ: سار ليلًا.

١- بِعَبْدِهِ: أي: رسولِه محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

١- مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: المسجدِ الذي بمكة، وفيه الكعبةالشريفة.

١- إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا: المسجد الذي ببيت المَقْدِس.

١- بَارَكْنَا حَوْلَهُ: وضعنا البَرَكة (النَّماء والزيادة) فيه، وفي ما حولَه.

١- مِنْ آيَاتِنَا: من عجائب قدرتِنا ومظاهِرِها في الكَون.

٢- وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التوراة.

٢- وَجَعَلْنَاهُ هُدًى: جعلنا الكتابَ، أو موسى، هاديًا لبني إسرائيل.

٢- وَكِيلًا: حفيظًا أو شريكًا.

٣- ذُرِّيَّةَ: الذُّرِّيَّة: نَسْلُ الإنسانِ (أولاده وأحفاده).

٣- مَنْ حَمَلْنَا: ركب في السفينة.

٤- وَقَضَيْنَا: أَعْلَمْناهُمْ قضاءَنا فيهم.

٤- فِي الْكِتَابِ: التوراة.

٤- وَلَتَعْلُنَّ: ولَتَسْتَكْبِرُنَّ على الله باجْتِراحِكُم عليه.

٤- عُلُوًّا كَبِيرًا: بغيًا عظيمًا.

٥- وَعْدُ أُولَاهُمَا: أُولَى المرَّتَين.

٥- بَأْسٍ شَدِيدٍ: ذَوِي بَطْشٍ في الحروب شديدٍ.

٥- فَجَاسُوا خِلَالَ: تنقَّلوا في الديار يقتلون ويُفْسِدون.

٥- وَيُطَافُ عَلَيْهِم: مُنْجَزًا لا يتخلَّف.

٦- رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ: نصَرَ اللهُ بني إسرائيل بعد أن كانت الهزيمة لهم.

٦- وَأَمْدَدْنَاكُم: زِدْنَا فيما أعطيناكم.

٦- أَكْثَرَ نَفِيرًا: أكثر عددًا وعشيرَةً.

٧- إِنْ أَحْسَنتُمْ: بطاعةِ الله وطاعةِ رسولِه كما أمر اللهُ.

٧- وَإِنْ أَسَأْتُمْ: في الطاعة، فعلَى أنفسكم سوءُ عاقبةِ الإساءة.

٧- وَعْدُ الْآخِرَةِ: المرة الثانية، (أو يوم القيامة).

٧- لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ: ليُقَبِّحُوها بالكَرْبِ والحُزْن.

٧- وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ: ليدخلوا المسجد الذي ببيت المَقْدِس.

٧- وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا: وليُدمِّرُوا ما غَلَبُوا عليه من ديارِ بني إسرائيل تدميرًا.

من هداية الآيات

الآية: ١	تَقريرُ نُبُوَّةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ وصِدْقِه؛ إذْ مِثْلُ هذه الأنباءِ لا يَقُصُّها إلا نبيٌّ يُوحَى إليه.
الآية: ١	تقريرُ وقوعِ الإسراءِ والمعراج بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، بالرُّوحِ والجسدِ معًا، من المسجدِ الحرامِ إلى المَسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العُلَا، حيثُ أوحَى إليه تعالى ما أوحَى، وفرَضَ عليه وعلى أُمَّته الصلواتِ الخمسَ.
الآية: ١	تقريرُ شَرَفِ المساجد الثلاثة: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ النبيِّ ﷺ، والمسجدِ الأقصى، أمَّا المسجدان الحرامَ والأقصى فقدْ ذُكِرا بالنَّصِّ، وأمَّا مَسجدُ الرسولِ ﷺ فقد ذُكِرَ بالإشارة والإيماء، إذْ لفظُ (الأقصَى) يقتضي وجودَ قَصِيٍّ، فالقَصِيُّ هو المسجدُ النبويُّ، والأقصَى هو مسجدُ بيتِ المَقْدِس.
الآية: ١	بيانُ الحكمةِ في الإسراءِ والمِعراج، وهي أنْ يرَى الرسولُ ﷺ بعَيْنَي رأسِهِ ما كان آمَنَ به وعَلِمَهُ بطريقِ الوحي، فأصبَحَ الغيبُ لَدَى رسولِ الله شهادةً.
الآية: ٢	على المؤمنين اتِّخاذُ الله تعالى وَكيلًا لهم في كلِّ أمورهم، وعليهم أنْ يجتهِدُوا ويعملوا مع تَوَكُّلِهم على الله تعالى.
الآية: ٢	بيانُ الحِكمة مِن إنزَالِ الكتبِ السماويةِ على الأنبياء، وهي هدايةُ الناسِ إلى توحيد الله تعالى وعبادتِهِ.
الآية: ٣	وجوبُ شُكرِ الله على نِعَمه، كان نوحٌ عليه السلام إذا أكل الأَكْلَةَ قال: الحمدُ لله، وإذا شَرِبَ الشَّرْبةَ قال: الحمَدُ لله، وإذا لبِسَ حذاءَه قال: الحمدُ لله، وإذا قضَى حاجةً قال: الحمدُ لله...؛ حتى وُصِفَ بأنه عبدٌ شَكُورٌ، وكذا كان رسولُ الله والصالحون مِن أُمَّته إلى اليوم.
الآية: ٤	ما قَضاه اللهُ تعالى كائِنٌ، وما وَعَدَ به ناجِزٌ، والإيمانُ بذلك واجبٌ.
الآية: ٤	يجبُ على المؤمنِ رَفْضُ الإفسادِ والظُّلمِ والعُلُوِّ في الأرض، وبيانُ سوءِ عاقبتهما.
الآية: ٥	ضرورةُ التَّنَبُّهِ إلى وَعْدِ ووعِيدِ الله سبحانه وتعالى؛ فإنها حاصِلةٌ لا مَحالَةَ، وفي حالة الإفساد في الأرض، فإن الله يُسلِّطُ الظالمين عَلى الظالمين عقابًا لهم.
الآية: ٦	اللهُ تعالى ينصُر عبادَه المؤمنين ولو بعد حين، شَرْطَ الإعداد والصبر والدعاء، وما قضاه اللهُ تعالى كائنٌ لا محالة، والإيمانُ به واجبٌ.
الآية: ٦	وجوبُ الصبرِ والرجاءِ في الله، والرَّجاءُ: انتظارُ الفرجِ والخيرِ منه سبحانه، وإنْ أساء الكفَّارُ إلى المسلمين، وإنْ طالَ الزَّمَنُ.
الآية: ٧	تقريرُ قاعدةِ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، فكلُّ إنسانٍ مسؤولٌ عن عمله فَقط.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

معاني الكلمات:

٨- وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا: وإنْ رجعتُم إلى الفساد عُدْنا بالتَّسليط عليكم.

٨- حَصِيرًا: محبسًا وسجنًا محصورين فيه.

٩- لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ: للطريقة التي هي أَصْوَبُ.

٩- أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا: لهم الجنة، دار السلام.

١٠- أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا: أَعْدَدْنا لهم عذابَ النار يوم القيامة.

١١- وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ: يدعو على نفسه وأهله إذا هو ضَجِرَ وغَضِب.

١١- وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا: سريعَ التأثُّرِ بما يَخْطُر على باله؛ فلا يَتَرَوَّى.

١٢- ءَايَتَيْنِ: علامتين دالَّتين على وجود الله وقُدرته وعِلْمه.

١٢- فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ: طَمَسْنَا نُورَها بالظَّلام الذي يَعْقُبُ غيابَ الشمس.

١٢- مُبْصِرَةً: يُبْصِرُ الإنسانُ فيه؛ بسبب ضوء الشمس.

١٢- عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ: عددَ السنين وابْتداءَها وانقضاءَها، وحسابَ ساعاتِ النهارِ والليلِ وأوقاتِها والأيامِ والأسابيعِ والشهورِ.

١٢- فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا: تِبْيانًا لكلِّ شيءٍ.

١٣- أَلْزَمْنَاهُ: لا يفارقه، حتى يحاسَبَ عليه.

١٣- طَائِرَهُ: عملَه، وما قُدِّرَ له مِنْ سعادةٍ وشقاء.

١٣- فِي عُنُقِهِ: مُلازِمٌ له لا يُفارِقه حتى يفرُغَ منه.

١٣- كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا: كتابًا تُنشَر فيه أعمالُه في الدنيا.

١٤- عَلَيْكَ حَسِيبًا: تكفِي نفسُك مُحاسِبًا لك يومَ الحساب.

١٥- وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ: لا تحمِلُ نفسٌ آثِمَةٌ إثْمَ نفسٍ أُخْرَى.

١٦- أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا: أَمَرْنا أغنياءَها ورؤساءَها باتِّباعِ الحقِّ.

١٦- فَفَسَقُوا فِيهَا: خرجوا عن طاعة الله.

١٦- فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ: وجب عليها العذابُ.

١٧- وَكَمْ أَهْلَكْنَا: قد أهلَكْنا كثيرًا.

١٧- مِنَ الْقُرُونِ: من الذين عاشوا في السِّنينَ السابقة.

١٧- خَبِيرًا بَصِيرًا: عليمًا بصيرًا بذنوب العباد.

من هداية الآيات

الآية: ٨	قد يجمع اللهُ تعالى للكافرين بينَ عذاب الدنيا وعذابِ الآخرة، وكذلك الفَاسِقون.
الآية: ٩	بيانُ فضلِ القرآن الكريم؛ حيثُ يهدي إلى الإسلام، الذي هو سبيل السعادةِ للإنسان، وهو أكثرُ بيانًا وهدايةً إلى السبيل الأَقْوَمِ من التوراة والإنجيل.
الآية: ٩	بيانُ طَبْعِ الإنسانِ قبلَ تهذيبِهِ بالآدابِ القرآنية، والأخلاقِ النبوية، وأنَّ القرآن مصدرُ هداية لَمن أراد التغيير والاهتداء للحقِّ.
الآية: ٩-١٠	الوَعْدُ: بِشارة المؤمنين العاملين للصالحات، والوعيد: إنذارُ الكافرين باليومِ الآخِرِ بأنَّ لهم عذابًا لكفرهم وجحودهم.
الآية: ١١	على المؤمن أنْ يحذَرَ من الغَضب، أو الدعاءِ على نفسِه وأولاده وأهله وماله بالشَّرِّ، فالتَّرَوِّي في الأمور ضروريٌّ.
الآية: ١٢	الليل والنهار آيتانِ تدُلَّانِ على الله تعالى، وتُقرِّرَانِ عِلمَهُ وقُدرتَهُ وتدبيرَهُ، ومن الضروريِّ عدمُ مخالفةِ الفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ فيهما؛ فالعمل نهارًا والنوم ليلًا.
الآية: ١٢	لقد فصَّل اللهُ تعالى الأحكامَ في القرآنِ تفصيلًا؛ للتبَصُّر، ولتسهيل أمور الحياةِ.
الآية: ١٣	كلُّ إنسانٍ مسؤولٌ عن عَمَلِه، إنْ كان خيرًا فخيرٌ، وإن كان شرًّا فشَرٌّ، ولا يحاسَب بأخطاءِ غيرِه.
الآية: ١٤	تقريرُ العدالةِ الإلهية يومَ القيامةِ؛ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئًا.
الآية: ١٥	بيانُ سُنَّةِ الله تعالى في إهلاك الأُممِ الظالمة، غيرَ أنَّها لا تُهْلَكُ إلا بعدَ الإنكار والإنذار.
الآية: ١٥	على المسلم أن يقرأَ القرآنَ ويتدبَّرَهُ، وأحاديثَ الرسولِ ﷺ؛ فإنَّ في ذلك الهدايةَ إلى الطريق الذي ارْتَضَاهُ الله تعالى.
الآية: ١٦	التحذيرُ مِنْ كَثرةِ التَّنَعُّمِ والتَّرَفِ؛ فإنه قَد يؤَدِّي إلى الفِسقِ بتَرْكِ الطاعة، ثم يؤدِّي الفسقُ إلى الهلاك والدمارِ والعِياذُ بالله.
الآية: ١٦	يجب على المؤمن أنْ ينتبه؛ فَفِسْقُ الآخرين وفجُورُهُم في المجتمع، قد يكونُ سببًا لهلاك الجميع إذَا لَمْ يَتِمَّ تدارُكُ الأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

معاني الكلمات:

١٨- ٱلْعَاجِلَةَ: الدنيا؛ سمِّيت بذلك لسُرعةِ انقضائِها.

١٨- يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا: يدخلُها مُلامًا مُبْعَدًا عن الجنة.

١٩- وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا: عمِلَ لها العَمَلَ المطلوبَ، وهو الإيمانُ والعملُ الصالح.

١٩- كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا: كان عملُهُم مَقبولًا مُثابًا عليه مِن قِبَل الله تعالى.

٢٠- كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ: نُعطي كُلًّا من الفريقين.

٢٠- وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا: لَمْ يَكُنْ عطاءُ الله في الدنيا ممنوعًا عن أحَد.

٢١- كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ: في الرزق والجاه.

٢١- أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا: في الآخرة يُفضَّل كلٌّ حَسْبَ درجةِ عملِهِ في الدنيا.

٢٢- لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ: لا تعبُدْ مع الله تعالى غيرَهُ.

٢٢- فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا: فيَذُمَّك الملائكةُ والمؤمنون، وتكونَ مَخذُولًا مِنَ الله تعالى.

٢٣- وَقَضَىٰ رَبُّكَ: أَمَرَ اللهُ وأوصَى عبادَهُ.

٢٣- وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا: أمرَ أنْ تُحسِنوا إلى الوالدَين، وذلك بِبِرِّهما.

٢٣- يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ: التَّقدُّم في العُمُر.

٢٣- فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ: لا تتأفَّفْ منهما، ومن طلباتِهما.

٢٣- وَلَا تَنْهَرْهُمَا: ولا تكنْ قاسيًا معهما.

٢٣- قَوْلًا كَرِيمًا: قولًا جميلًا ليِّنًا طيِّبًا.

٢٤- وَٱخْفِضْ لَهُمَا: تواضع لهما في المعاشرة.

٢٤- جَنَاحَ ٱلذُّلِّ: أَلِنْ لهما جَانِبَكَ، وارْحَمْهُما.

٢٥- لِلْأَوَّٰبِينَ: الرَّجَّاعِين إلى الطاعةِ بعدَ المعصية.

٢٦- وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ: أَعْطِ أصحابَ القَرابَاتِ حُقوقَهم من البِرِّ والصِّلَة.

٢٦- وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ: المُسافِر المُجْتاز في بلدٍ ليس معه شيءٌ يستعين به على سفره.

٢٦- وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا: ولا تُنْفِق المالَ في غير طاعةِ الله ورسوله.

٢٧- إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ: مَنْ وافَقَ الشياطِينَ فيما يُوَسْوِسُون.

٢٧- لِرَبِّهِۦ كَفُورًا: كثيرَ الكُفر لنِعَم ربِّه تعالى، فكذلك المُبَذِّر.

من هداية الآيات

الآية: ١٨	من أراد الدنيا – فقط – فإنَّ اللهَ تعالى قد يُعطِيه مِن خَيراتِها كما يشاءُ سبحانه، لكنَّ هذا العطاءَ قد يكون استدراجًا، وفي الآخرة يكون حسابُه عَسِيرًا؛ لأنه لم يعمل ابتغاءَ مَرْضاةِ الله تعالى.
الآية: ١٨–١٩	السعادة والشقاء – في الدنيا والآخرة – متوقِّفَان على كَسْبِ العبدِ وعمله، وهذه سنةُ اللهِ تعالى في العباد.
الآية: ١٩	الرغبة والأماني وحدَها لا تكفِي، بلْ يجب السعيُ للآخرةِ بالإيمانِ، وصالحِ الأعمال، والابتعادِ عن الشِّركِ والمعاصي.
الآية: ١٨–٢٠	يعطي اللهُ تعالى الدُّنيا مَنْ يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، وعطاؤه قائمٌ على سُنَنٍ له في الحياة يجب معرفتُها والعملُ بمقتضاها، ومَن أراد الدنيا والآخرةَ وسعَى لها سَعْيَها، فإنَّ اللهَ تعالى قد يُعطيه في الدنيا، وله في الآخرةِ عطاءٌ غيرُ محدودٍ.
الآية: ٢٠	لا مَرَدَّ لحكمِ الله تعالى، ولا مانِعَ لما أَعطَى، ولا مُبدِّل لما أراد، فهو سبحانه الفعَّالُ لما يريدُ، العَدْلُ، الحَكيمُ، الخبير، يُعطِي ويمنَع، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا رادَّ لقَضائِه.
الآية: ٢٠	ما أعطاه اللهُ لا يمنعُهُ أحدٌ، فوجب التوكُّلُ على اللهِ، والإعراضُ عمَّا سِواه.
الآية: ٢١	كلَّما زاد عملُ الإنسانِ في الدنيا – كما أمَرَ اللهُ تعالى – زادَهُ اللهُ تعالى من نعيمِ الآخرَةِ.
الآية: ٢٢	يجب التَّنَبُّهُ والتَّنبيهُ مِن الشِّركِ بالله بكلِّ أشكاله؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى الهلاك والخُذلانِ في الدنيا والآخرة.
الآية: ٢٣	وجوبُ عبادةِ الله تعالى وَحْدَه، ووجوبُ بِرِّ الوالدَين، وهو الإحسان بهما، وكَفُّ الأذَى عنهما، وطاعتُهُما في المعروف، وعدمُ التأفُّفِ من طلباتِهما، وخصوصًا عندَ الشَّيخُوخَة، وقد سُئِل الرسولُ ﷺ عن أحبِّ الأعمالِ إلى الله تعالى، فذكر من ذلك: «برَّ الوالدين».
الآية: ٢٤	وجوبُ الدعاءِ للوالدين بالمغفرة والرحمة سواءً كانوا أحياءً أم أمواتًا؛ لأنهم يحتاجون هذه الرحمةَ، وعسَى اللهُ أنْ يتقبَّل منك هذا الدعاء، فيجازيك خيرًا.
الآية: ٢٤	خصَّ اللهُ تعالى التربيةَ بالذكر؛ ليتذكَّرَ العبدُ تَعَبَ الوالدَين ورحمتهما في تربيةِ الأولادِ، وأنه كما يعامِل والديه سيُعامَلُ من أَولَاده.
الآية: ٢٥	وجوبُ مراقبةِ الله تعالى، وعدمِ إضمارِ أيِّ سوءٍ في النَّفس، والإكثارِ منَ التوبةِ، والرجوعِ إلى الله تعالى، فمَن كان صَالحًا وبدرتْ منه معصية وتابَ منها، فإنَّ الله تعالى يغفِر له ذلك.
الآية: ٢٦	وجوبُ إعطاءِ ذوِي القُربَى المساكينِ وابنِ السبيل حُقوقَهم من البِرِّ والصلةِ والتصدُّق.
الآية: ٢٥–٢٧	حُرمَةُ التبذيرِ، وحَقيقَتُهُ: إنفاقُ المالِ في المعاصِي والمحرَّمات؛ والعبدُ مُحاسَبٌ على المال، كيف حصلَ عليه؟ وكيف أنفقه؟

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

معاني الكلمات:

٢٨- وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ: عن المذكورين من ذوي القُربى والمساكين وابن السبيل؛ فلَمْ تُعطِهم شيئًا.

٢٨- ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا: طلبًا لرزقٍ ترجوه من الله تعالى.

٢٨- قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا: لَيِّنًا سهلًا، بأنْ تَعِدَهُم بالعطاء عند وجود الرِّزْق.

٢٩- مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ: لا تُمْسِك عن النَّفَقة كأنَّ يدَكَ مربوطةٌ إلى عنقك ممنوعةٌ من العطاء.

٢٩- وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ: ولا تُنفِقْ كلَّ ما بيدك فلا تُبْقِي شيئًا.

٢٩- فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا: يَلومُكَ مَنْ حرمْتَهُم من النَّفقة.

٢٩- مَّحۡسُورًا: نادمًا لأنك لمْ تُبْقِ لك شيئًا.

٣٠- يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ: يوسِّع الرزق على مَن شاء اختبارًا له.

٣٠- وَيَقۡدِرُ: يُضَيِّق الرزق امتحانًا وابتلاء.

٣١- خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ: خَوفَ الفقرِ وشِدَّتِه.

٣١- خِطۡـًٔا كَبِيرٗا: خَطأً فاحِشًا.

٣٣- لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا: لوارث المقتولِ تَسَلُّطًا على القاتِلِ.

٣٣- فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ: فلا يقتُلْ غيرَ القاتِل.

٣٤- إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ: إلا بالخَصْلة التي هي أحسَنُ من غيرها، وذلك بتَنمِيَتِه، والإنفاقِ عليه منه بالمعروف.

٣٤- حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ: حتى يصِلَ إلى سِنِّ الرُّشْدِ.

٣٤- وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ: إذا عاهدتُم اللهَ أو العبادَ فأَوفُوا بما عاهدتم عليه.

٣٤- إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا: فيُسألُ العبدُ يومَ القيامةِ لِمَ نَكَثَ عَهدَه؟

٣٥- وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ: أَتِمُّوا الكيلَ، ولا تُنْقِصُوه.

٣٥- بِٱلۡقِسۡطَاسِ: الميزانِ العادل.

٣٥- وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا: أحسَنُ مَآلًا وعاقِبَةً.

٣٦- وَلَا تَقۡفُ: ولا تَتَّبِع.

٣٦- وَٱلۡفُؤَادَ: القلب أو العقل.

٣٦- كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا: العبد مسؤول عن حَواسِّه يوم القيامة.

٣٧- مَرَحًا: ذا مَرَحٍ بالكِبر والخُيَلاء.

٣٧- لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ: لَنْ تثقُبَها أو تَشُقَّها بقَدَمَيك.

مـن هدايـة الآيـات

الآية: ٢٨	عند عدمِ القُدرةِ الماديةِ على عَطاءِ ذَوِي القُربَى والمساكين وابنِ السبيل (مالًا أو سَعْيًا)، فيجبُ أنْ تتلطَّفَ بهم، وتدعو لهم، وترحمهم، وهذا أضعف الإيمان.
الآية: ٢٩	تقريرُ حُرمَةِ البُخلِ والإسراف معًا، وفضيلةِ الاعتدالِ والقَصْدِ لتَستَقِرَّ الحياةُ ويدُومَ الخيرُ.
الآية: ٣٠	تَجَلِّي حِكمةِ الله تعالى في التَّوْسِعَةِ على أُناسٍ، والتَّضييقِ على آخَرِين؛ لأنه أَعْلَمُ بحالهم، فمِنهُم مَنْ لا يُصْلِحُه إلَّا الفقرُ، ولو غَنِيَ لفَسَد، ومنهم مَنْ لا يُصلِحُه إلَّا الغِنَى، ولو افْتَقَر لفَسَد.
الآية: ٣٠	قد يكون الغِنَى في حَقِّ بعضِ الناس استدراجًا، وقد يكون الفقرُ عقوبةً – لا سمح الله –، فوجب التنبيه لذلك، والرِّضا بما قَسَمَهُ اللهُ تعالى.
الآية: ٣١	ضرورةُ الانتِباهِ إلى حُرمةِ قَتْلِ الأولادِ بالإجهاض – بعدَ بَثِّ الرُّوحِ في الجَنين – خشيةَ الفَقرِ.
الآية: ٣٢	النَّهيُ عن القُربِ من الزِّنَى، وذلك يشمَلُ مُقدِّماتِه ودَوَاعِيه؛ لأنَّ مَنْ حَامَ حولَ الحِمَى يُوشِك أنْ يَقَعَ فيه.
الآية: ٣٣	حُرمَةُ قتلِ النفسِ المُسلِمَةِ وأهلِ الكِتابِ والمستأمَنِين، قال الله تعالى في آية أُخرَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَد مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ].
الآية: ٣٤	حرمَةُ مالِ اليتيمِ، أَكْلًا أو إفسادًا أو تضييعًا وإهمالًا، بل يجبُ الحضُّ على كفالةِ اليتيم بالرعاية مُباشَرة، أو عن طريق المؤسَّسات المُختَصَّة.
الآية: ٣٤	وجوبُ الوَفاءِ بالعُهودِ وسائرِ العُقود، وأنت مسؤولٌ عنها في الدنيا والآخرة.
الآية: ٣٥	وجوبُ تَوفِيةِ الكيلِ والوزن والقياس، وحرمةُ بَخْسِ الكيلِ والوزنِ والقياس؛ لأنَّ اللهَ تعالى نهَى عن ذلك فقال في آيةٍ أُخرَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]، وقال الرسولُ الكريمُ ﷺ: «مَنْ غَشَّنا فليْسَ مِنَّا» [رواه مسلم].
الآية: ٣٥	حصولُ البركة (الزيادة والنماء في التجارة والمال والولد)، لِمَنْ يمتَثِلُ أمرَ الله في كَيلِه ووَزْنِه وقياسِه وأوقاتِه وعملِه ووُعودِه.
الآية: ٣٦	حرمةُ القولِ أو العملِ دونَ عِلمٍ؛ لما يُفْضِي إليه ذلك من المفاسد، ومنه شهادةُ الزُّورِ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى سائِلٌ كلَّ الجوارِحِ ومُستَشْهِدُها على صاحبها يومَ القيامة.
الآية: ٣٧	حرمةُ الكِبْرِ، ومَقْتُ المُتكبِّرِينَ والمَغْرُورِين، وهذه من أَشَرِّ الأفعال، وقصةُ خَسْفِ قارونَ مثالٌ على ذلك، ومَنْ تواضَعَ لله رَفَعَهُ اللهُ تعالى.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

معاني الكلمات:

٣٩- مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ: التي هي معرفةُ ما يُحبُّه الله تعالى للعمل به، وما يُسْخِطُه سبحانه لتَجَنُّبِه.

٣٩- مَلُومًا مَّدۡحُورًا: تَلُوم نفسَك على شِرْكِكَ بربِّك، مُبعَدًا مَطْرُودًا من رحمته.

٤٠- أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ: هل خَصَّكُم بالبَنِينَ واختارهم لكم؟! وهذا الاستفهام للتوبيخ.

٤١- وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا: بيَّنَّا فيه من الوَعْدِ والوَعيد والأمثالِ والعِظاتِ والأحكامِ والعِبَر.

٤١- لِيَذَّكَّرُواْ: ليَتذكَّروا، فيتَّعِظُوا فيؤمِنوا ويُطيعُوا.

٤١- نُفُورًا: انزعاجًا شديدًا وبُعدًا.

٤٢- لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا: لطلبوا طريقًا إلى الله تعالى للتقرُّب إليه.

٤٣- عُلُوّٗا كَبِيرٗا: تُقالُ لكلِّ مُتجبِّرٍ مُتكبِّرٍ.

٤٤- وَمَن فِيهِنَّۚ: مَن في السماوات من الملائكة، ومَنْ في الأرض من إنسان وجانّ وحيوان.

٤٤- وَإِن مِّن شَيۡءٍ: وما مِنْ شيءٍ من المخلوقات.

٤٤- تَفۡقَهُونَ: تَعلَمُون وتَفهَمُون.

٤٤- حَلِيمًا غَفُورٗا: لا يُعاجِلُكُم بالعُقوبة على مَعْصِيتِكُم إيَّاه، ويغفِرُ لكم إذا تُبْتُم.

٤٥- حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا: حاجِزًا لا يُرَى؛ فلا يسمعون كلامَ الله تعالى.

٤٦- عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً: أَغْطِيَةً؛ فلا تَعِي ولا تَفْهَم.

٤٦- أَن يَفۡقَهُوهُ: لِئَلَّا يَفهَمُوه.

٤٦- وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ: صَمَمًا؛ فلا يسمعون القرآنَ ومَواعِظَه.

٤٦- وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا: فَرُّوا حتى لا يسمعوا.

٤٧- بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ: (به) أي: بسببه، وهو الهُزْءُ بالنبيِّ ﷺ.

٤٧- وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ: يَتَناجَون بينهم ويتحدَّثُون سِرًّا.

٤٧- رَجُلٗا مَّسۡحُورًا: مَغْلُوبًا على عقلِه، مَخْدُوعًا.

٤٨- ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ: قالوا: ساحِرٌ، وقالوا: كاهِنٌ، وقالوا: شاعِرٌ.

٤٨- فَضَلُّواْ: تاهُوا عن الهُدى.

٤٨- فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا: لا حِيلَةَ لهم ولا مَخْرَجَ.

٤٩- أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا: الرُّفاتُ الأجزاءُ المتفتِّتَة من الجَسد بعد الموت في القبور.

٤٩- خَلۡقٗا جَدِيدٗا: أَنُخلَقُ بعد الموتِ مرَّةً أُخرى؟! وهذا -منهم- استفهام استنكار.

من هداية الآيات

الآية: ٣٩	ضرورةُ التحلِّي بالحِكمةِ قبلَ الحُكمِ أو فِعْلِ أيِّ أمْرٍ، والحكمةُ هي حالةٌ يتمُّ من خلالها التمييزُ بينَ المقبولِ وغيرِ المقبول، مُقْتَرنًا ببَصيرةٍ وحكمٍ عادِلٍ، وهي صِفَةٌ مكتَسَبَةٌ، ورأسُ الحِكمةِ مَخافةُ الله.
الآية: ٣٩	حرمةُ القَولِ على الله تعالى بالباطل، أو نسبةِ النقْصِ إليه سبحانه، كاتِّخاذِ وَلدٍ أو شريكٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣].
الآية: ٣٩-٤٠-٤٢	مشروعيَّةُ الاستدلالِ بالعقليَّات على إحقاقِ الحقِّ، وإبطالِ البَاطِلِ، وبالحكمة والموعظة الحَسَنة.
الآية: ٤١	التَّصْرِيفُ هو التِّبيانُ بطُرُقٍ شَتَّى، ولقد بيَّنَ اللهُ تعالى في القرآن الكريم مِنْ كُلِّ مَثَلٍ للتذكيرِ بالحقِّ والتنبيهِ عليه، وبيَّنَ الأحكامَ بحيثُ تشمَلُ كلَّ ما يحتاجُهُ المسلمُ والمجتمعُ، فوجَبَ تَدَبُّرُ ذلك من القرآن الكريم، ومن استنباطات العلماءِ وأُولِي الأمْرِ الشرعيِّ.
الآية:٤٢-٤٤	فضيلةُ التسبيحِ، وهو قول: (سبحان الله) أو غيرها من الصِّيَغِ.
الآية: ٤٣-٤٤	كلُّ المخلُوقاتِ في العَوالِمِ المختلِفة عالَمِ الإنسانِ، والحيوانِ، والنباتِ، وعالَمِ الملائكةِ، وحتى عالَمِ الجمادِ تُسبِّح اللهَ تعالى، أي: تُنَزِّهُهُ عن الشريك والولَدِ والنَّقْصِ والعَجز... ونحنُ نجْهَلُ كيفيَّةَ تَسبيحِهم)، قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٤٤].
الآية: ٤٤	حِلْمُ الله يَتَجَلَّى في عدَمِ تعجيلِ عُقوبةِ مَنْ عصاهُ، ولولَا حِلْمُهُ لَعَجَّل عقوبةَ مُشْرِكي مكةَ، ولكنَّ اللهَ أمهَلَهُم حتى تاب أكثرُهُم، وهذا يجري مع كلِّ الأقوامِ.
الآية: ٤٥-٤٦	تقريرُ قاعدةِ (حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ)؛ فإنَّ الحجابَ المَذكُورَ في الآية - وكذا الأَكِنَّةُ (وهو الغطاء على القلب) - حال دونَ سماعِ القرآنِ؛ وذلك لبُغضِهم للرسولِ ﷺ، وللقرآن الذي جاء به.
الآية: ٤٦	عدَمُ فَهْمِ القرآنِ قدْ يكونُ عقوبةً للمُسلِمِ بسبَبِ المَعاصِي؛ وذلك يُوجِبُ المُسارعَةَ إلى التَّوبةِ، وكَثْرَةَ الاستغفارِ والعملِ الصالح.
الآية: ٤٧	التحذيرُ منَ النَّجوَى المُحرَّمةِ، قال النبي ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ» [رواه البخاري].
الآية: ٤٧-٤٨	إن اتِّهاماتِ المشركين للرسول ﷺ بالسِّحرِ مرَّةً، وبالتعلُّمِ من أهلِ الكتابِ مرةً أُخرَى هي اتهاماتٌ باطلةٌ؛ لأنهم لم يعثُروا على شيءٍ يثْبُتُ ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٨].
الآية: ٤٩	حَتمِيَّةُ الموتِ لجميعِ الخَلقِ، وإعادةِ الخَلْقِ والبعثِ يومَ القيامة.

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

معاني الكلمات:

٥١- مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ: يَعْظُمُ في اعتقادِكم، كالموت.

٥١- فَطَرَكُمْ: خَلَقَكُم.

٥١- فَسَيُنْغِضُونَ: يُحرِّكونَ رُؤُوسَهم تَعجُّبًا.

٥١- مَتَىٰ هُوَ: الاستفهام - منهم هنا - للاستهزاء، أي: متى هذا البعثُ الذي تَعِدُنا.

٥٢- يَوْمَ يَدْعُوكُمْ: يُناديكُم مِن قُبُورِكم.

٥٢- فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ: تُجِيبُونَ دَعْوَتَهُ قائِلينَ: سُبحانك اللهمَّ وبِحَمْدِك.

٥٢- إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا: ما لَبِثْتُم في قبوركم إلَّا قَليلًا.

٥٣- ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ: الكلمة التي هي أَحْسَنُ من غيرها؛ لِلُطْفِها وحُسنِها.

٥٣- يَنزَغُ: يُفْسِد بينَهم عَن طَريق الوَسْوسة.

٥٣- عَدُوًّا مُّبِينًا: عدوًّا مَعرُوفًا للإنسان.

٥٤- رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ: اللهُ أَعلَمُ بأحوالكم.

٥٤- وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا: لَمْ نُرْسِلْك عليهم رَقِيبًا لتُجْبِرَهم على الإسلام.

٥٥- فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ: بِفَضائِلَ مُعَيَّنةٍ خاصَّةٍ بهم، وكُلُّهم ذَوُو فَضائِل.

٥٥- وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا: أنزلْنا كتابَ الزَّبورِ على دَاوُد، وهذا نوعٌ من أنواع التفضيل.

٥٦- زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ: الَّذين ادَّعَيتُم أَنَّهم أَربابٌ وآلِهَةٌ مِنْ دُونِ الله.

٥٦- فَلَا يَمْلِكُونَ: لا يَستَطِيعون.

٥٦- كَشْفَ ٱلضُّرِّ: إزالةَ الضَّرَرِ أو المرضِ.

٥٦- وَلَا تَحْوِيلًا: لا يستطيعون نَقْلَ الضَّرَرِ أو المرضِ إلى شخص آخَرَ صحيح.

٥٧- يَدْعُونَ: الذين يَتَوَسَّلُون.

٥٧- يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ: يطلُبونَ القُرْبَ من الله بالطاعاتِ وأنواعِ القُرُبَاتِ.

٥٧- أَيُّهُمْ أَقْرَبُ: أَيُّهُم أقرَبُ لله بِصالِحِ أعمالِهِ واجْتهادِهِ في الطاعةِ.

٥٧- كَانَ مَحْذُورًا: يَحْذَرُه المؤمنونَ ويَحتَرِسُون منه بتَرْكِ مَعْصيةِ الله تعالى.

٥٨- وَإِن مِّن قَرْيَةٍ: ما مِنْ قريةٍ أو مَدينةٍ إلَّا سَيُصِيبُها بعضُ الابتلاءاتِ للامتِحان.

٥٨- فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا: مَكتُوبًا في كتابِ المَقاديرِ (اللَّوحِ المحفوظِ).

من هداية الآيات

الآية: ٥٠-٥١	تَقريرُ عقيدةِ البَعْثِ والجزاءِ، وبيانُ حتميَّتِها، وذلك يُوجِبُ العملَ بالصالحاتِ مِنْ أجلِ ذلك المَوقِفِ.
الآية: ٥١-٥٣	تعليمُ الله تعالى لرسوله - ومِنْ ثَمَّ للمسلمين جميعًا - كيف يُجابُ على المُنْكِرين المُستَهزِئين، بالَّتي هيَ أَحسَنُ (حُسْنُ القولِ والمُعامَلةِ).
الآية: ٥٢	إنَّ عُمُرَ الإنسانِ في هذه الحياةِ قصيرٌ، فاحرِصْ على طاعةِ الله وعِبادتِه، وعدمِ إضاعةِ العُمُرِ في الغَفلةِ واللَّهو بجميعِ أنواعه، قال تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المؤمنون:١١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥].
الآية: ٥٣	التَّأَسِّي بأُسلُوبِ رسولِ الله ﷺ، وهو الأُسلوبُ الحِوارِيُّ الهادِي الخالي مِنَ الغِلظَةِ والشِّدَّةِ، والنَّاهِي عن الكلمةِ الخَشِنَةِ المُسيئَةِ إلى المَدْعُوِّ إلى الإسلام.
الآية:٥٣	بيانُ أنَّ الشيطانَ يسعَى للإفساد دائمًا، بالكلماتِ المُثيرَةِ للغضَبِ، والحامِلَةِ على الخُصومةِ الشديدةِ، فوَجَبَ الانتباهُ إلى نَزْغِ ووسوسةِ شياطينِ الجنِّ والإنْسِ.
الآية: ٥٣	بيانُ نوعِ الكلمةِ التي هي أَحْسَنُ، وهي كلُّ كلامٍ حَسَنٍ، يزيدُ في الأُلْفَةِ والمحبَّةِ بينَ العِبادِ.
الآية: ٥٤-٥٥	بيانُ أنَّ اللهَ تعالى أَعلَمُ بخَلقِهِ؛ فهو يَهَبُ كلَّ عبدٍ ما أَهَّلَهُ له، حتى إنهُ فاضَلَ بين أنبيائه ورُسُلِه عليهم السلام في الكمالاتِ الرُّوحيَّة والدرجاتِ العالية.
الآية: ٥٦	بيانُ حقيقةٍ، وهي أنَّه لا يَمْلِك جَلْبَ النَّفْعِ، ولا دَفْعَ الضُّرِّ إلَّا اللهُ سبحانَهُ وتَعَالى.
الآية: ٥٧	إنَّ مَن يَبتغِي إلى رَبِّه الوسيلةَ (القُرْبَةَ إلى الله)، هو مَنْ كان حيًّا بقلبه، ويعمل بطاعة الله، ويتقرَّب إليه بصالح الأعمال.
الآية: ٥٨	إذا كَثُرَ الخَبَثُ (الزِّنَى، والرِّبا، والفُجُور، والعصيان، والرَّشوة...)، فهذا نذيرٌ لقُرْبِ الهلاك، للعاصي بمعصيته، وللجميع بعدم الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

معاني الكلمات:

٥٩- أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ : الآيات: المُعجزاتِ التي طلبَها أهلُ مكةَ، كتَحويلِ الصَّفا إلى جبلِ ذَهَبٍ، أوَ إزالةِ جِبالِ مكةَ لتكونَ أرضًا زراعيَّةً.

٥٩- ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ : أعطَينا ثمودَ (قومَ صالحٍ) الناقةَ آيةً واضحةً بيِّنةً.

٥٩- فَظَلَمُواْ بِهَاۚ : ذبَحُوا الناقةَ، فأهلكَهُم اللهُ تعالى.

٥٩- إِلَّا تَخۡوِيفٗا : إلَّا مِنْ أجْلِ تَخويفِ العبادِ بأنَّا إذَا أعطَينَاهُم الآياتِ ولم يُؤمِنوا،أهلَكْناهُم.

٦٠- أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ : قُدْرَةً وعِلمًا، فَهُمْ في قَبْضَتِهِ وتحتَ سُلطانِهِ؛ فلَا تَخَفْ منهم.

٦٠- وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا : هي ما رآهُ الرسولُ ﷺ ليلةَ الإسراءِ والمِعْراجِ.

٦٠- وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ: هي شجرةُ الزَّقُّومِ الواردُ ذِكْرُها في سُوَرِ الصافاتِ والدُّخانِ، وهي فِتنةٌ لقُريشٍ إذْ قالوا: كيفَ تَنْبُتُ شَجرةٌ في النارِ؟!

٦٠- وَنُخَوِّفُهُمۡ : بعَذابِنا في الدُّنيا بالإهلَاكِ، وفي الآخرةِ بالعذابِ الأليمِ.

٦٠- طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا : تَمادِيًا في الكُفرِ والاعْتِداءِ على مَحارِمِ اللهِ تعالى.

٦١- لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا : المُرادُ سيِّدُنا آدمُ، الذي خَلَقَه اللهُ تعالى مِنْ طِينٍ.

٦٢- أَرَءَيۡتَكَ : أَخبِرْنِي

٦٢- كَرَّمۡتَ عَلَيَّ : فَضَّلْتَهُ عليَّ بالأمْرِ بالسُّجودِ له.

٦٢- لَأَحۡتَنِكَنَّ : لَأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم (بالوسوسة)، فأَقودَهُم إلى الغِوايَةِ كما تُقادُ الدَّابَّةِ إذا جُعِلَ الرَّسَنُ في حَنَكِها، تُقادُ حيثُ شاء راكبُها.

٦٣- ٱذۡهَبۡ: قال لَه اللهُ تعالى: سأُمْهِلُك (لحكمةٍ أرادَها اللهُ تعالى).

٦٣- جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا : سَأَجْزِيكَ أنتَ ومَنْ تَبِعَكَ مِنْ جِنْسِ عمَلِكَ جزاءً كامِلًا وُفِيرًا.

٦٤- وَٱسۡتَفۡزِزۡ : اسْتَخْفِفْ، وأَزْعِجْ.

٦٤- بِصَوۡتِكَ : وَسْوَسَتِكَ، بدُعائِكَ إيَّاهُم إلى طَاعَتِكَ ومَعْصِيتِي.

٦٤- وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم : بِصياحِكَ فيهم.

٦٤- بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ : بفُرسَانِك، وبجنودِكَ الماشِينَ على أرجُلِهم، -وهو تعبيرٌ مَجازِي-.

٦٤- وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ : بحَمْلِهم على أَكْلِ الرِّبا وتَعاطِيهِ.

٦٤- وَٱلۡأَوۡلَٰدِ : بتَزْيِينِ الزِّنَى، ودَفْعِهِم إليه.

٦٤- وَعِدُهُمۡ : قُلْ لهم: لَا بَعْثَ ولا حِسابَ ولا جَزاءَ.

٦٤- إِلَّا غُرُورًا : بَاطِلًا وكَذِبًا وزُورًا.

٦٥- لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞ : ليس لكَ قُوَّةٌ تتسلَّطُ عَليهِم بِها.

٦٥- وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا : يَكْفِي اللهُ سبحانه حافِظًا.

٦٦- يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ : يَسُوقُ السُّفُنَ والمَراكِبَ في البَحْرِ.

٦٦- لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ : لتطلُبوا رِزْقَ اللهِ بالتِّجارةِ.

من هداية الآيات

الآية: ٥٩	مَشروعيَّةُ التذكير بالأحداثِ الماضيةِ للأُمَم السابقة (كما ذُكِرت في القرآن الكريم، وبُيِّنَتْ في السُّنَّةِ المُطهَّرة)، للتحذير من الوقوع في ما فعلوا.
الآية: ٥٩-٦٠	يُرسِل اللهُ تعالى آياتٍ كونيَّةً مِن فترة لأُخرَى؛ لتَذكِير وتَخْويفِ عبادِه الغَافِلين، وللاعتبارِ والعودة إلى الرُّشْد والطاعة، وفعلِ الخيرات وتركِ المُنكَرات، فمَنِ اعتَبَرَ وتَدَبَّر فَلَهُ الجزاءُ الأَوفَى، وأما مَن استهزأ وأعرض فهو الظالمُ لنفسه، وسيلقَى العذابَ في الدُّنيا والآخرة، (وما شَهِدناه مؤخَّرًا من وباء كورونا دليلٌ على ذلك).
الآية: ٦٠	إنَّ اللهَ تعالى يمتحِنُ ابنَ آدمَ بالشَّرِّ والخيرِ، لِيَمِيزَ المؤمنَ من الكافر، والمُطيعَ من العاصي، ويُرسِل الآياتِ لبيان ذلك، ولكن الظالمين والكافرين لا يعتبِرون، ولا يزيدهم ذلك إلا غُرورًا وطُغيانًا.
الآية: ٦١-٦٤	تقريرُ خَلْقِ آدمَ من طِينٍ، وأنَّ إبليسَ وأعوانَهُ ومَن خَلَّقَ بخُلُقِهِ هم من الضَّالِّين، وأنَّ الإنسانَ مُفَضَّلٌ على الجِنِّ وسائر مخلوقات الأرضِ بعقْلِه وطاعته لله تعالى.
الآية:٦٢-٦٤	بيانُ مُشاركَةِ إبليسَ لَمَنْ تَبِعَهُ من الإنسِ في أموالهم بالرِّبا، وفي أولادهم بالعصيان، وفي نسائهم بالزنَى، ثم يكون هؤلاء حسرةً عليهم في الدنيا والآخرة.
الآية: ٦٣	أسلوبُ الشيطانِ وأعوانِهِ من الجِنِّ والإنسِ، هو الإغواءُ، وتزيينُ الأعمالِ القَبيحةِ، فالحَذَرَ مِنْ هذهِ الأساليب، ويجب مُدافَعَتُها بقراءة القرآنِ، ومُصاحبَةِ الأخيارِ، والتَّقرُّبِ إلى الله تعالى بالأعمالِ الصالحة.
الآية: ٦٥	بيانُ حِفظِ الله تعالى لأوليائه، وهم المؤمنون المُتَّقُونَ، جَعَلَنا اللهُ تعالَى منهم، وحَفِظَنَا بما يَحفظُهم به؛ إنه بَرٌّ كريمٌ.
الآية: ٦٦	الله سبحانه وتعالى هو وَاضِعُ وخالِقُ القَوانينِ الطبيعية في الكَونِ، (كقانون أرخميدس وغيره)، وما اكتشافاتُ العلماءِ إلا جُهْدٌ مَشكورٌ على العَمَل بالأسباب، وهؤلاء المُكتشِفون قد يتمتَّعون في الدنيا قليلًا، ولكنهم سوفَ يخسرون في الآخرة، إذا لم تَقْتَرِن أعمالُهم بالإيمانِ بالله الواحدِ الأَحَدِ، خالِقِهِمْ وخالقِ الأسبابِ وخالِقِ الكَونِ كلِّه سبحانه.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

معاني الكلمات:

٦٧- وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ: إذا أصابكم البَلاءُ والخَوفُ مِنَ الغَرقِ.

٦٧- ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ: غَابَ عَنكُمْ مَنْ كنتُم تَدْعُونَهُم مِنْ آلِهَتِكم.

٦٧- أَعْرَضْتُمْ: تَجاهَلْتُم وأَبَيتُمْ.

٦٨- يَخْسِفَ بِكُمْ: يُزَلْزِلَ بكم الأرضَ حتى تَنْهارَ.

٦٨- أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا: رِيحًا تَحمِلُ معها الحَصْباءَ (الحَصَا) لِشِدَّتِها.

٦٨- ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا: حَافِظًا مُجِيرًا مِنَ الخَسْفِ أو الرِّيحِ.

٦٩- قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ: رِيحًا شديدةً تَقْصِفُ الأشجارَ وتكسِرُها.

٦٩- فَيُغْرِقَكُم: يُرْجِعَكم إلى البَحرِ.

٦٩- تَبِيعًا: تابِعًا ونَصِيرًا ومُعِينًا يَثْأَرُ لَكم مِنَّا.

٧٠- وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ: فَضَّلْناهُم بالعِلْمِ والنُّطْقِ واعتدالِ الخَلْقِ.

٧٠- وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ: أَرْكَبْناهُم في المَرْكَباتِ والسُّفُنِ.

٧٠- مِّمَّنْ خَلَقْنَا: مِنَ الجِنِّ والحيوانِ والنَّباتِ.

٧١- بِإِمَٰمِهِمْ: رَئِيسِهِم الذي كانوا يَقْتَدُونَ به ويتبعونه في الخير أو الشر.

٧١- كِتَٰبَهُۥ: كتابَ الأعمالِ يومَ الحسابِ.

٧١- فَتِيلًا: مِقدارَ فَتِيلٍ، والفتيل: الخيطُ الذي يكونُ وَسْطَ نَواةِ التَّمْرِ.

٧٢- وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ: مَنْ كان في الدُّنيا أعمى عَن آياتِ الله تعالى الدَّالَّةِ على وُجودِه وقُدْرَتِه؛ فلَمْ يؤمِنْ بالله، ولم يَعْبُدْه.

٧٢- فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا: سيَكونُ حِسابُه في الآخرةِ شديدًا، ولا سبيل للفِرارِ منه.

٧٣- وَإِن كَادُوا۟: أي: قارَبُوا.

٧٣- لَيَفْتِنُونَكَ: يصرِفُونَك عنِ الحَقِّ.

٧٣- لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ: لتَقُولَ -افتراءً- غيرَ الذي أوحينا إليكَ.

٧٣- وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا: لو فعلتَ الذي طلَبُوه منكَ، لاتَّخَذُوكَ صَدِيقًا حَمِيمًا لهم.

٧٤- ثَبَّتْنَٰكَ: جعلناك صامِدًا، حازِمًا.

٧٤- تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ: تَمِيلَ إليهم قليلًا.

٧٥- ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ: لعَذَّبْناكَ في الدُّنيا عذابًا مُضاعَفًا، وفي الآخرةِ كذلك.

من هداية الآيات

الآية: ٦٧	مِن صفاتِ المُنافقينَ والمُشركِين: أنهم يعرفون اللهَ في الشِّدَّة ويُخلِصُون له الدُّعاءَ، ويُنكِرونَه في الرَّخاءِ، ويُشرِكون معه سِواهُ، فوجَبَ الحذرُ من مِثلِ فِعلِهم.
الآية: ٦٨-٦٩	اللهُ تعالى يُخوِّفُ المُشركِين بِقدرتِهِ على أنْ يَخْسِفَ بهم الأرضَ، أو يُرسِلَ عليهم وَبَاءً فيُهلِكَهُم، أو يَرُدَّهُم إلى البَحر الذي دعوا أن ينجيهم منه مرةً أُخرَى، ويرسلَ عليهم رياحًا وأمواجًا، فيُغرِقَهُم بسببِ كُفرِهم باللهِ، وعَودَتِهم إلى الشِّركِ بعدَ دُعاءِ الله تعالى والتَّضَرُّعِ إليه حالَ الشِّدَّةِ.
الآية: ٧٠	بيانُ نِعَمِ الله تعالَى على الإنسانِ وفَضلِهِ عليه، في تَكريمِهِ وتفضِيلِهِ على سائر المخلوقات، وجَعْلِهِ يتمتَّع بالطيبَات في الأرض.
الآية: ٧٠	تقريرُ كرامةِ الآدميِّ وشَرَفِهِ على سائر المخلوقات الأرضية؛ حيثُ فَضَّلهُ اللهُ بالعَقلِ الذي هو عُمدَةُ التَّكْلِيف، وبه يعرِفُ اللهَ تعالَى ويفهم كلامَهُ...
الآية: ٧١	اللهُ يُحاسِبُ عبادَه في الآخرةِ على كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، حتى ولو كانت الصغيرة كَفَتِيل نَواةِ التَّمْر، إلا مَنْ رَحِمَهُ رَبِّي فعفَا عنه.
الآية: ٧١	يَنبَغِي الترغيبُ في الاقتداءِ بالصَّالِحِين ومُتابَعَتِهِم، كما ينبغِي التَّرهِيبُ من الاقتداء بأهل الفساد ومُتابَعَتِهِم.
الآية: ٧١	بيانُ عدالةِ الله تعالَى في المَوْقِفِ يومَ القيامة، بإقامةِ الحُجَّةِ على العبدِ، وعَدَمِ ظُلمِهِ شَيئًا، وإنْ كان مِثقالَ ذَرَّةٍ.
الآية: ٧٢	العمَى الحقيقيُّ: هو عمَى القلبِ والبَصيرة عن الحقِّ، وعقابه: العمَى في الآخرة أيضًا، ونَتِيجَتُه: السقوطُ في العذاب.
الآية: ٧٣	حُرمَةُ الرُّكُونِ (المَيلِ) لأهل الباطل، بالتَّنازُلِ عن شيءٍ منَ الحق إرْضاءً لهم.
الآية: ٧٤	على المَؤمِنِ أنْ لا يَغْتَرَّ بإيمانِهِ، ويجبُ الدعاءُ إلى الله بالتَّثبِيتِ على الإيمانِ والدِّينِ الحَقِّ، ويُعِينُ على ذلك: الصُّحبَةُ الصالحةُ، كما ينبغي على المؤمن عدَمُ الاكْتِراثِ بالمُشكِّكِين.
الآية: ٧٤-٧٥	الوعيدُ الشديدُ مِن الله تعالى لمن يُرضِي أهلَ الباطلِ تَمَلُّقًا لهم أو طمعًا في دنياهم؛ فيتركُ الحقَّ لأجلهم.
الآية: ٧٥	تقريرُ أنه بحسْبِ عُلُوِّ مرتبةِ العبدِ وتواتُرِ النِّعمِ عليه من الله يَعْظُمُ إثمُهُ ويتضاعفُ جُرْمُهُ، إذا فعل ما يُلامُ عليه؛ فإثمُ القويِّ العاقلِ أكبرُ من إثم الضعيفِ المغلوبِ على أمره، لأنَّ الله تعالى ذَكَّر رسولَهُ ﷺ، فمِنْ باب أَولَى أنْ ينطبِقَ ذلك على كافة المسلمين من بعده.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

معاني الكلمات:

٧٦- لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ: لإخراجِكَ مِن أرضِ مكةَ.

٧٦- لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ: لا يَبْقَونَ بعدَكَ إلَّا قَليلًا؛ إذْ يهلِكُهُم اللهُ.

٧٧- سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ: لو أَخرجُوكَ لعَذَّبْناهُم كما هِي سُنَّتُنا في الأُمَمِ.

٧٧- لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا: لا تَبْدِيلَ لقَوانِينِ وسُنَنِ اللهِ في الكَونِ.

٧٨- لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ: زَوالِها مِن كَبِدِ السماءِ.

٧٨- إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ: الغَسَقُ: الظُّلْمَةُ.

٧٨- وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ: صلاة الفجر.

٧٨- كَانَ مَشْهُودًا: تَشْهَدُه المَلائكَةُ.

٧٩- فَتَهَجَّدْ بِهِۦ: صَلِّ في الليلِ.

٧٩- نَافِلَةً: تَطَوُّعًا، والمراد -هنا- التَّهَجُّدُ في الليل.

٧٩- مَقَامًا مَّحْمُودًا: هو الشفاعةُ العُظْمَى يومَ القِيامَةِ.

٨٠- أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ: إدْخالًا مَرْضِيًّا لا أَرَى فيه مكروهًا، (والمراد دخول المدينة المنورة).

٨٠- وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ: إخراجًا لا أَلْتَفِتُ فيه بقلبي إلى مكة عند خروجي منها.

٨٠- سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا: قُوةً تَنْصُرُني بها على أعدائي.

٨١- وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ: عندَ دُخولِك مكةَ فاتحًا لها بإذن الله تعالى.

٨١- وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ: ذَهَبَ الكُفرُ والشركُ.

٨٢- شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ: شفاءٌ مِنْ أمراضِ الجَهْلِ والضلالِ والوسواس.

٨٢- خَسَارًا: خُسْرانًا.

٨٣- أَعْرَضَ: أَبى وَرَفَضَ أنْ يَشكُر.

٨٣- وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ: أَخذَ جانبًا في كِبْرِياءٍ.

٨٣- وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا: إذا نالتْهُ شدَّةٌ - مِن فقرٍ أو مرَضٍ...- يَئِسَ؛ لأنه لا يَثِق بفَضلِ الله.

٨٤- شَاكِلَتِهِۦ: طَريقَتِهِ ومَذْهبِهِ الذي يُشاكِلُ حالَهُ في الهُدَى أو الضَّلال.

٨٥- وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ: يسألك المُشركون عن الرُّوحِ الذي يَحيَا به البَدَنُ.

٨٥- مِنْ أَمْرِ رَبِّى: مِن شَأْنِ الله، وفي عِلْمِه الَّذي اسْتأْثَرَ به، ولَمْ يُعلِّمْهُ غيرَهُ.

٨٦- لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ: لو شِئْنا أَنْ نَمْحُوَ القرآنَ مِنْ صَدرِك لفَعَلْنا.

٨٦- لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا: يَحُولُ دُونَ ما أَردْناه مِنك.

من هداية الآيات

الآية: ٧٦	تقريرُ أنَّ اللهَ تعالى سيُعاقِب – لا محالة، ولو بعد حين – المُغتصِبين لأراضي المسلمين، والظالمين الذين يُخرِجُونهم من ديارهم بغير وَجْه حقٍّ.
الآية: ٧٧	بيانُ أنَّ سُنَنَ الله تعالى في الكونِ لا تتخلَّف بحال من الأحوال، وتوقيتها ونوعيتها يختلفان حسبَ حالِ العبَاد، وطِبْقًا لتقدير وحكمةِ الله عزَّ وجلَّ.
الآية: ٧٨	وجوبُ إقامةِ الصلواتِ اليوميةِ الخمس المفروضة على المسلمين، وبيانُ أوقاتها المحدَّدةِ لها – كما أَمَرَ اللهُ تعالى وبيَّنَ رسولُه ﷺ –.
الآية: ٧٩	الترغيبُ في النوافلِ والسُّنن، وخاصةً التَّهَجُّدَ (أي: نافلة الليل)، عسَى اللهُ أنْ يُكفِّر بها سيِّئاتِ الأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ؛ لأنَّ المؤمنَ يحتاجُ في الآخرة الحسنةَ الواحدة تُثَقِّل ميزانَ حَسَناتِه.
الآية:٧٩	تقريرُ الشفاعةِ العُظمَى للنبيِّ ﷺ، وهي المقام المَحْمودُ الذي وعده الله تعالى به – كما نصَّ عليه العلماء –، وهي لجميع الخَلْقِ، حين يؤخِّرُ اللهُ الحسابَ، فيطولُ بهم الانتظارُ في أرضِ المَحْشَرِ، فيَبْلُغُ منهم الكربُ والغَمُّ ما لا يُطيقُون، عندها يشفَعُ رسولُنا ﷺ لِيَفْصِلَ اللهُ بين العباد، بعد أن يعتذر عن الشفاعة بقيَّةُ الرسُل عليهم السلام.
الآية: ٨٠	ينبغي المداومةُ على الدعاء بهذه الآية العظيمة: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٠]، عند الدخول أو الخروج من المنزل، أو مكان العمل، أو في الأسواق، أو أيِّ مكانٍ؛ وذلك للتيسيرِ والتوفيقِ والتَّأْيِيدِ منَ الله تعالى؛ لأن اللهَ تعالى أَمَرَ نبيَّه سيدَنا محمدًا ﷺ بقولها عند خروجه من مكة ومجيئه إلى المدينة.
الآية: ٨٠	مشروعيَّةُ طلبِ المَعونَةِ والسلطان والنصرة من الله تعالى لِمَنْ لا طاقةَ له بأمرٍ ما، واللهُ تعالى يُسخِّر له من الخَلْق مَنْ يشاء لمُساعدتِه، ويُسبِّبُ له الأسبابَ لبُلوغِ مَهَمَّتِه.
الآية: ٨١	سُنَّةُ الله تعالى في الدنيا أنَّه مَتَى قام أهلُ الحقِّ بنَشرِه، فلابُدَّ أنْ يضمحِلَّ الباطلُ مهما عَلَا وطَالَ.
الآية: ٨١	يجبُ تَجَنُّبُ الظلمِ بكُلِّ أشكالِه، فبِقَدْرِ الظلمِ يعاقَبُ الظالمُ (في الدنيا والآخرة)، ولو كان من المسلمين.
الآية: ٨٢	تقريرُ أنَّ القرآنَ شفاءٌ لأمراضِ القُلوبِ عامةً، ورحمةٌ للمُؤمنين خاصةً.
الآية: ٨٣	بيانُ بعضِ طِباعِ الكافر، وبيانُ حالِ الضَّعفِ المُلازِمِ لَه، واليأسِ عند وُقوعِ الضُّرِّ، فوجب الانتباهُ.
الآية: ٨٤	على المسلم الابتعادُ عن الجِدالِ الفارغِ، والحِوارِ غيرِ المُثمِرِ، ويلتزمُ بالتي هيَ أَحْسَنُ، كما علَّمنا القرآنُ الكريمُ ورسولُنا محمدٌ ﷺ.
الآية: ٨٥	تقريرُ أنَّ عِلمَ الرُّوح هو ممَّا اسْتأثَرَ اللهُ تعالَى بِهِ وَحْدَهُ.
الآية: ٨٥	ما عِلْمُ أهلِ العِلم إلى عِلْمِ الله تعالى، إلَّا كما يأخذُ الطائرُ بمنقارِه منْ ماءِ المُحِيط، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].
الآية: ٨٥	عِلْمُ الإنسانِ محدودٌ، وعقلُهُ قاصرٌ عن الإحاطةِ بالأشياء، مهما بَلَغَ من العِلمِ والقُوةِ؛ فإنه لا سُلطانَ له على الغيب، بل هو عاجزٌ عن إدراكِ كلِّ ما يحتاجُهُ مما ليس غيبًا!

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

معاني الكلمات:

٨٧- إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ: أَبْقَيناهُ عليك رحمةً بِكَ.

٨٨- بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ: من الفَصاحةِ والبَلاغةِ والمُحْتَوَى من الغيبيَّات والشَّرائِعِ والأحكامِ.

٨٨- ظَهِيرًا: مُعِينًا ونَصِيرًا.

٨٩- صَرَّفْنَا: بَيَّنَّا للناسِ ونوَّعْنا؛ ليتَّعِظُوا فيُؤمِنُوا ويُوَحِّدُوا.

٨٩- فَأَبَىٰٓ: رَفَضَ.

٨٩- كُفُورًا: جُحُودًا للحقِّ، وعِنادًا فيه.

٩٠- تَفْجُرَ: تُخرِجَ لنا منَ الأرضِ.

٩٠- يَنۢبُوعًا: عَين ماءٍ دائِمِ الجَرَيانِ.

٩١- جَنَّةٌ: بستانٌ كثيرُ الأشجارِ.

٩٢- زَعَمْتَ: ادَّعَيتَ.

٩٢- كِسَفًا: قِطَعًا.

٩٢- قَبِيلًا: مُقابِلِينَ لَنا لنَرَاهُم أمامَنَا.

٩٣- بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ: مِن ذَهَبٍ تسكُنُه بيننَا.

٩٣- تَرْقَىٰ: تصعَدَ في السماء.

٩٣- لِرُقِيِّكَ: لصُعُودِكَ إلى السماء.

٩٣- كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ: كتابًا من عند ربِّك، يأمُرُنا باتِّباعِك.

٩٥- مُطْمَئِنِّينَ: ساكنين في الأرض لا يَبْرَحُون مِنها.

٩٥- مَلَكًا رَّسُولًا: رَسُولًا من الملائكة.

٩٦- شَهِيدًۢا: شاهدًا على أنِّي رسولُ الله إليكم، وعلى أنَّي قد بَلَّغْتُكُم، وعلى أنَّكُم كفرْتُم وعانَدْتُم.

من هداية الآيات

الآية: ٨٧	إنَّ رحمةَ الله تعالى وفَضلَهُ تَسَعُ عبادَهُ كلَّهم، مِنْ لَدُنْ سيدِنا آدمَ عليه السلام، إلى قيامِ الساعةِ، واكتسابُها مَشْروطٌ بِطَاعتِهِ سُبحانه، ومِن رحمته بالمسلمين أنْ أعطَى الشفاعة لنبيِّهم سيدِنا محمدٍ ﷺ.
الآية: ٨٨	بيانُ عَجْزِ جميعِ الخَلقِ عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ الكريم، لِمَا تَضمَّنه مِن العُلومِ الإلهيةِ، والأَرضيةِ، والغيبِ، والبراهين الواضحة، والمعاني العَجِيبةِ، وقد عجَزَ الإنسانُ والجنُّ عن أنْ يأتوا بمثله؛ لفصاحَتِهِ وبلاغتِهِ وحُسنِ نَظْمِهِ، مما جعله مُعجزةً بحَقٍّ ولا يُشبِهُ كلامَ الخَلْقِ؛ لأنه غيرُ مخلوقٍ، بل هو كلامُ اللهِ المَكتُوبُ.
الآية: ٨٩	لقد نوَّعَ اللهُ تعالى في القرآن المواعظَ والأمثالَ والقَصَصَ، ليتحقَّقَ المقصودُ منه في هداية وإفهام الناس في كُلِّ العصور، وعلى اختلافِ المفاهيم والعلوم والمعارف والثقافات والأعراف المختلفة على مدار الأزمان والأمكنة.
الآية: ٩٣	تقريرُ نبوَّةِ الرسولِ ﷺ، وأنه مُرْسَلٌ من ربِّ العالمين لهداية البشرية جمعاء، وأنه ليس نبيًّا للمسلمين فقط.
الآية: ٩٠-٩٤	بيانُ سُخْفِ عُقولِ المشركينَ والكفَّارِ والمُلْحِدينَ في إنكارِهِم الرسالةَ المحمديةَ، وهي توحيدُ الله في عبادته، وتَحَجُّجُهم بطلباتٍ واهيةٍ ليُبرِّروا عدمَ إيمانهم، وهذا شأنُهم على مدار العُصور.
الآية: ٩٥	تقريرُ أنَّ التفاهمَ يكون حسبَ سُنَّةِ الله، ولا يتمُّ إلا بينَ المُتَجَانِسين، فإذا اختلفتِ الأجناسُ فلا تَفَاهُمَ، إلا أنْ يشاء الله.
الآية: ٩٦	شهادة الله تعالى على جميع أعمال وأقوال العباد هي أعظَمُ شهادةٍ.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

معاني الكلمات:

٩٧- ٱلْمُهْتَدِ: المُهتَدِي الذي هَداهُ اللهُ.

٩٧- يُضْلِلْ: يُضِلُّهُ اللهُ ضلالًا جَزائيًّا؛ لرفْضِهِ الهدايةَ منه أوَّلًا.

٩٧- فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ: لنْ تَجِدَ مَنْ يَهْتَمُّ بهم.

٩٧- مِن دُونِهِۦ: من دون الله.

٩٧- وَنَحْشُرُهُمْ: جمع الخلائق للحساب.

٩٧- عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ: يمشُون على وُجوهِهم.

٩٧- عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا: لا يُبْصِرُون، ولا يَنْطِقُون، ولا يَسْمعُون.

٩٧- كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا: كلَّما هَدَأَ وسَكَنَ لَهَبُها زِدْناهم تَلَهُّبًا واسْتِعارًا.

٩٨- وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا: قالوا مُنْكِرِينَ للبَعْثِ.

٩٨- رُفَٰتًا: فُتاتًا مِن العِظام.

٩٩- مِثْلَهُمْ: خَلْقًا مِثلَهُم.

٩٩- أَجَلًا: وَقتًا مُحَدَّدًا.

٩٩- لَّا رَيْبَ: لا شك.

٩٩- فَأَبَى: رفض.

٩٩- كُفُورًا: شدة كفر.

١٠٠- خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ: من المطر والأرزاق...

١٠٠- لَّأَمْسَكْتُمْ: اِمْتَنَعْتم عن الإنفاقِ.

١٠٠- خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ: خوفًا منَ النَّفادِ والانْتِهاء.

١٠٠- قَتُورًا: كثير البُخْلِ والمَنْع للمال.

١٠١- تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ: مُعجِزاتٍ واضِحاتٍ، اليد والعصا...

١٠١- مَسْحُورًا: مَغْلُوبًا على عقلك، مَخْدُوعًا.

١٠٢- هَٰٓؤُلَآءِ: الآيات التِّسْع.

١٠٢- بَصَآئِرَ: حُجَجًا وعِبَرًا.

١٠٢- مَثْبُورًا: هالكًا بانصِرافِكَ عن الحقِّ والخير.

١٠٣- يَسْتَفِزَّهُم: يَسْتَخِفَّهم ويُخرِجَهُم مِن دِيار مِصْرَ.

١٠٤- ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ: أُسْكُنوا أرضَ القُدْسِ والشامِ.

١٠٤- وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ: يوم القيامة.

١٠٤- لَفِيفًا: مُخْتَلِطِين مِن أجْناسٍ شَتَّى يوم الحساب.

من هداية الآيات

الآية: ٩٧	بيانُ الآياتِ الكونيَّةِ وَحْدَهُ لا يكفي لهداية الإنسانِ، بلْ لابُدَّ مِن أَخْذِ الخُطوة الأُولَى بالإيمان بخالِقِ الآياتِ، وطلبِ الهداية، مِن ثَمَّ يوفِّقُ اللهُ.
الآية: ٩٧	الهدايةُ والإضلالُ بيَدِ الله، فيجبُ – بعد أَخْذِ أسبابِ الهِداية – أن يطلُبَ العبدُ هدايةَ التوفيقِ منه تعالى، ويستعيذَ به منَ الضَّلالِ، ثمَّ يطلُبُ هدايةَ التَّثبيتِ.
الآية: ٩٧	تقريرُ فظاعةِ عذابِ يومِ القيامةِ! فمِنْ عِقابِ الظالمين أنَّهم يمشُون على وُجُوهِهم متخبِّطين، وَهُمْ صمٌّ بكمٌ عميٌ والعياذ بالله تعالى.
الآية: ٩٧	تقريرُ أنَّ جهنمَ جزاءُ الكُفْرِ بآياتِ اللهِ والإنكارِ للبَعْثِ والجزاء يومَ القيامة.
الآية:٩٧-٩٧	بيانُ مَظَاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وانتصارِهِ لأوليائه، وكَبْتِهِ لأعدائه الضالين عن الهدى والظالمين للمُهتدين.
الآية: ٩٧-٩٨	بيانُ كيفيةِ حَشْرِ الناسِ يومَ القيامة، لَفِيفًا أَخلَاطًا، مِنْ قبائلَ وأجناسٍ شَتَّى.
الآية: ٩٨-٩٩	للبعثِ دليلٌ عقليٌّ كما لَهُ دليلٌ نَقْلِيٌّ؛ فالقادر على البدء، قادرٌ عقلًا على الإعادة، بل الإعادةُ -عقلًا- أَهْوَنُ من بَدْءِ الخلقِ من لا شَيءَ.
الآية: ٩٩	إنَّ آجالَ الخَلْقِ مكتوبةٌ، وأعمارَهُم محدودةٌ، لقول الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١]، وهي مكتوبةٌ في كتاب المقادير (اللوح المحفوظ).
الآية: ١٠٠	بيانُ أنَّ الشُّحَّ والجَشَعَ والأنانيةَ مِنْ طَبْعِ الإنسانِ، إلا أنْ يُعالِجَه بالإيمان والتقوى، فيقيه اللهُ منه.
الآية: ١٠٠	يَنبغِي للمُسلِمِ أنْ يسألَ اللهَ تعالى أنْ يُغنيَهُ بفَضلِهِ عمَّنْ سِواه، وأنْ يُنْفِقَ في أوجُهِ الخيرِ، لِتَتَعوَّدَ النفسُ على العطاء.
الآية: ١٠٣	إنَّ مَصِيرَ الطُّغاةِ والظالمين في الدنيا الخِزْيُ والإهلاكُ لا مَحَالَةَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يُمْهِلُهُم لوقتٍ محدَّدٍ في الدنيا، ولكنَّه لا يُهْمِلُهُم أبدًا.
الآية: ١٠٤	يجب على المؤمنِ أنْ لا يَرْكَنَ لتَمْكِينِهِ في الأرضِ (مَنْحه سُلطة فيها)؛ لأنَّ هذا المَتاعَ إنما هو لأجَلٍ مُسَمًّى، فإذا جاء يوم القيامة حُشِرَ الناسُ كُلُّهُم، المؤمنُ والكافرُ، والظالمُ والمظلومُ، في صَعِيدٍ (مكان) واحدٍ، ليقضِيَ اللهُ بينهم يومَ الحِسابِ الأكبرِ، فالحذَرَ لَمْنْ كانت الدنيا في قلبِهِ.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

معاني الكلمات:

١٠٥- وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ: أنزلْنا القُرآنَ لا شَكَّ فيه.

١٠٥- وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ: نَزَلَ ببيانِ الحقِّ في العِباداتِ والعَقائِدِ والأَخبارِ والمَواعِظِ والحِكَمِ والأَحكام.

١٠٦- وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ: أَنْزَلْناه مُفرَّقًا في ثلاثٍ وعِشرين سنةً؛ لحكمةٍ أرادها اللهُ.

١٠٦- عَلَىٰ مُكْثٍ: على تَمَهُّلٍ ورويَّة ليَفهَمَه المُستمِعُ إليه.

١٠٦- وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا: أوحينا به إلى نَبيِّنا شيئًا فشيئًا حَسْبَ مَصالِحِ الأُمَّة.

١٠٧- أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ: مُؤْمِنُو أهلِ الكتابِ من اليهود والنصارى.

١٠٧- يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا: يسجُدُون على وُجوهِهم.

١٠٨- إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا: مُنْجَزًا، وَاقِعًا، إِذْ أُرسِل النبيُّ الأُمِّيُّ (محمد) الذي بَشَّرَت به كُتُبُهم.

١٠٩- خُشُوعًا: خَوْفًا، وحُبًّا، واطمئنانًا.

١١٠- ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ: نادُوهُ بأَيٍّ من الاسمَين شئتُم، الله أو الرحمن.

١١٠- أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ: بأيِّ اسم دعَوتُمُوه فهو حسن؛ لأنَّ له الأسماءَ الحُسنَى.

١١٠- وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ: لا تَرْفَعْ صَوتَك بقراءتِكَ في الصلاة؛ كَراهةَ أنْ يسمعَها المُشركون.

١١٠- وَلَا تُخَافِتْ بِهَا: ولا تُسِرَّ بها؛ حتى ينتفع بقراءتِكَ أصحابُك الذين يُصَلُّون وراءَكَ.

١١٠- وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا: خُذْ بينَ السِّرِّ والجهرِ طريقًا وَسَطًا.

١١١- لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا: كما ادَّعى الكافرون والمشركون.

١١١- وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ: كما يقول المشركون.

١١١- وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ: لا يحتاجُ وليًّا ينصُرُه؛ إذ هو العزيز الجبَّار مالك الملك.

١١١- وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا: عَظِّمْهُ تعظيمًا كاملًا.

من هداية الآيات

الآية: ١٠٥	تقريرُ أنَّ القرآنَ حقٌّ مِنْ عندِ الله تعالى، وما نَزَلَ بِهِ كُلُّهُ الحقُّ، ولا مجالَ للشَّكِّ في ذلك أبدًا.
الآية: ١٠٥	تقريرُ النبوةِ المحمَّديَّةِ بنزول القرآنِ على سيدنا محمدٍ ﷺ، وإيمانِ مَنْ آمنَ بِهِ من أهل الكتاب.
الآية: ١٠٦	بيانُ أنَّه يُنْدَبُ (النَّدْبُ: طَلَبُ الفِعلِ دونَ إلزامٍ) ترتيلُ القرآنِ عند قراءتِهِ، لاسيَّما عند قراءته على الناس لدَعوتِهم إلى الله تعالى.
الآية: ١٠٦	تقريرُ نزولِ القرآنِ الكريمِ مُفرَّقًا (مُفَصَّلًا طِبقًا لحالة المسلمين في كلِّ وقتٍ) في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، وتعليمِهِ وبيانِهِ للصحابة الكرام خلال هذه المدة.
الآية:١٠٧	شأنُ المؤمنين أنهم إذا سمعوا القرآن تأثَّروا بما فيه، و﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧].
الآية: ١٠٨	التسبيحُ من أعظمِ العباداتِ التي يَتقرَّب بها المسلمُ إلى ربِّه سبحانه، والتسبيح مَقْرُونٌ بالتوكّلِ على الله تعالى، والشعورِ باليقين الكامل بُحَاءَ قُدرتِهِ سُبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان:٥٨].
الآية: ١٠٩	مَشْروعيَّةُ السجودِ لقارئ وسامعِ هذه الآية، وهي ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩]، فيَخِرُّ ساجدًا قائلًا: الله أكبر، ويسبِّحُ ويدعو في سجوده بما يشاء، وكذلك في مواضع السجدات في المصحف الشريف.
الآية: ١٠٩	الخشوع: هو الخُضوعُ لله تعالى، وأنْ تتذكَّرَ أنك بين يدي الله، وتحاولَ أنْ تجمع قلبَكَ مُستحضِرًا عَظَمَةَ الله تعالى، وترجو رحمَتَهُ، وتخشَى عذابَهُ، وهو مِنْ علاماتِ الإيمان، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢].
الآية: ١١٠	استحباب الأَخذِ بالاحتياطِ في تَطبيقِ الدِّين، من ذلك: الالتزامُ بالسُّننِ والنوافل في العبادات، والبُعدُ عن الشهواتِ.
الآية: ١١٠	ورد في الحديث الشريف أنَّ الأسماء الحُسنَى مائة اسم إلا واحدًا (٩٩)، فيُدعَى الله تعالى ويُنادَى بأيِّها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وليست الأسماء محصورةً بهذا العدد حسبَ قولِ أكثرِ العُلماء.
الآية: ١١١	وُجوبُ حَمْدِ الله تعالى والثناءِ عليه وتَنزيهِهِ عنْ كلِّ عَجْزٍ ونَقْصٍ، في كُلِّ آنٍ وحِينٍ، وتطبيق هذه الآية: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾، وتُسمَّى آيةَ العِزِّ، هكذا سمَّاها رسولُ الله ﷺ، ويُستَحَبُّ تَرديدُها.

V3

التفسير الموضوعي «لسورة الإسراء»

(من كتاب نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم
للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -)

الآيةُ الأُولَى من هذه السورةِ تضمَّنتْ قصةَ الإسراء، ثم عاد التاريخُ القَهقَرَى[1] ليَذكُرَ بني إسرائيلَ وما عَرَض لهم أثناءَ إقامتهم الأُولى في فِلسطِين.

لقد أُوتُوا التوراةَ دِينًا ودَولةً، والمُرْتَقَبُ[2] منهم ومِن أمثالهم -إذا أقاموا حكومةً دِينيَّةً- أن تكونَ صورةً للنِّظام لا للفَوضَى، وللعدالةِ لا للجَوْرِ[3]، لكنَّ بنِي إسرائيلَ الذينَ عانَوا كثيرًا تحت وَطْأَةِ الاستبداد الفرعوني لم يَلْبَثُوا طويلًا حتى جددوا سيرةَ الفراعنة الأَوَّلين، فعاثُوا[4] في الأرضِ فسادًا، ولم يَكُنْ بُدٌّ من تأديبِهم.

وتُسمَّى هذهِ السورةُ سورةَ «بني إسرائيل»، كما تُسمَّى سورةَ «الإسراء».

ويشرحُ القرآنُ الكريم أنَّ العَجزَ الإداريَّ والخُلُقيَّ في سُلْطَةِ بلَدٍ ما، ينتهِي بزوالِ هذهِ السُّلطَةِ، وقُدوم آخَرِينَ من الخارج ليتولَّوا هُمْ الحُكْمَ، ويعاقبوا العابثِين[5]، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء:٤]، يعني في سِجِلَّات العِلْم الأَزَلي، ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

١- القهقرى: الرجوع إلى الخلف.
٢- المرتقب: المتوقَّع، المنتَظَر.
٣- الجَور: الظُّلم.
٤- عاثوا: خرَّبوا، أتْلفوا.
٥- العابثين: المستخفِّين، الفاسدين.

شَدِيدٍ[1] فَجَاسُواْ[2] خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾ [الإسراء:٤-٥].

إنَّ الدولـةَ التي تَخْتَـلُّ[3] أُمُورُها تُحْتَـلُّ أرضُها، وتَفقِد اسـتقلالَها وحُريَّتَها...

إنَّ الفسـادَ والاسـتعلاءَ[4] لا يُتَصَـوَّرانِ في حكمٍ يقـومُ على الوَحي وينتَسِبُ إلى السماء؛ ولذلك فإنَّ عُقوبةَ أهلِهِ تكون شديدةً، استعمارٌ أجنبيٌّ يقـوم على الإذلال والاضطهاد، حَتى إذا اسـتقام المُعْوَجُّ، وعاد إلى أَدَبِهِ، واصطَلَـحَ مع ربِّـهِ، عادتْ إليه مكانتُهُ وكرامتُـهُ، ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦].

وليـسَ مـا يقعُ مُكافـأةً أَنْهَت المأسـاةَ.. إنـه اختبارٌ جديـدٌ، وعلى الشُّـعوبِ أنْ تَعِيَ وتَرْعَـوِي[5] ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ...﴾ [الإسراء: ٧].

ويظهـرُ أنَّ اليهود أَدْمنُوا المـرَضَ، واسْـتَمْرَؤُوا[6] العِلَلَ، فلا تكاد أحوالُهُم تسـتقيمُ عصْرًا حتـى يَحِنُّوا إلى عَبَثِهِـم[7] ومَظالمهم، ويتَجدَّد العِقـابُ، وتتجـدَّد التوبـةُ، ﴿... وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا[8]﴾ [الإسراء:٨].

١- بأس شديد: قوة شديدة.

٢- جاسوا: تردَّدوا فيها بالفساد.

٣- تختل: تضطرب، ولا تتوازن.

٤- الاستعلاء: التكبر والقهر.

٥- ترعوي: تَرتَدِعُ.

٦- استمرؤوا: جعلوه مَقبُولًا.

٧- عبثهم: استخفافهم.

٨- حصيرًا: سجنًا يحصرهم.

ويقول التاريخ: إن الإِفْسادَةَ الأُولَى أَعْقَبَها تدمِيرُ الآشُورِيِّين لدولةِ اليهودِ، وهَدْمِهِم لهَيكلِ سُليمانَ.

ثم قامَتِ الدولةُ ثانيةً، وعادتْ إلى الإفساد، فهاجَمَها الرُّومَانُ، وتكرَّرتِ العُقوبةُ، وبقِيَ اليهودُ دَهْرًا طويلًا بلا دولة!!

ثم شاء اللهُ أنْ يُقَلِّدَ المسلمون اليهودَ، وأنْ يُفسِدوا دولةَ الوَحيِ بأهوائِهم! وكانتْ عقوبةُ القَدَرِ هذه المرةَ أنْ يُقيمَ بَنُو إسرائيلَ دولةً على أنقاضِ العربِ الذين تخلَّوا عن القرآنِ، وأَخْلَدُوا[1] إلى الأَرضِ.

والصِّراعُ القائمُ اليومَ غريبٌ؛ لأنه بينَ مُسلِمينَ تخلَّوا عنِ مَوارِيثِ[2] السَّماءِ، واسْتَهْوَتْهُم نَزَعَاتٌ جِنسِيَّةٌ[3]!! وبينَ يهودٍ يرفعون رايةَ التوراةِ، ويُعظِّمُون يومَ السَّبتِ، أي: بينَ وَحْيِ حَقٍّ قليلِ الأنصارِ، وبينَ وحيٍ مُختَلَطٍ مُحرَّفٍ يغالِي[4] به أَهْلُه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

ونعُودُ إلى سُورةِ الإسراءِ لنَلْحَظَ فيها أمْرًا تَفَرَّدَتْ بهِ، وهو أنَّ كلمةَ «القرآن» تكرَّرتْ نحوَ إحدَى عشرةَ مرَّةً، وهو ما لَمْ يَقَعْ في سورةٍ أُخرَى! أَلِهَذَا عَلاقةٌ بما شَرَحْناهُ من طبيعةِ المعركةِ القائمةِ اليومَ بيننا وبينَ اليهود؟ ولْنَذْكُرِ الآنَ هذهِ الآياتِ:

١- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

١- أخلدوا: مالوا وسكنوا وركنوا.

٢- مواريث السماء: مجموعة تعاليم الله أنزلها للإنسان.

٣- نزعات جنسية: ميول غريزية نحو الآخر.

٤- يغالي: يبالغ.

٢- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤١].

٣- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥].

٤- ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦].

٥- ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

٦- ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨].

٧- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

٨- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

٩- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٨٩].

١٠- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦].

وفي أحد التفاسير أن القرآن قد ذكر في هذه السورة باسم الروح، والله أعلم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

والسياقُ أَدَلُّ على هذا المَعنَى منَ التفسيرِ الآخَرِ للرُّوح، وإن كان تفسيرًا جائِزًا.

كما ذُكِرَ القرآنُ بعَودِ الضميرِ إليه في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء:١٠٥].

إنَّ سورةَ «بني إسرائيل» انفردتْ بهذهِ الخاصِّيَّةِ؛ عَلَّ[١] المسلمين يفقهُون[٢] أنَّ القرآنَ الذي صَنَعَ أُمَّتَهُم قَديمًا قَديرٌ علَى أنْ يَصُبَّهُم[٣] في قَوالِبِ السِّيادةِ والقيادةِ مرَّةً أُخرَى، وعلى أنْ يَنتزِعَ من نُفُوسِهم حُبَّ الدنيا وكراهيةَ الموتِ، ويَهَبَ لهم قُلوبًا شُجاعةً تَفْتَدِي[٤] الحَقَّ، وتَحرِصَ على لِقاءِ الله!!

أحيانًا يكون الجَهلُ عُذرًا مُخَفِّفًا، أما التجاهُلُ[٥] والاستكبارُ[٦] على الحَقِّ وإيثارُ[٧] العَمَى على الهُدَى، فهوَ ذَرِيعةُ[٨] غَضَبٍ هائِلٍ.

وقديمًا سَلَّطَ اللهُ عَبَدَةَ الأوثَانِ على بَني إسرائيلَ؛ لأنهم لَمْ يَقْدُرُوا كِتابَهُم قَدْرَهُ، فلَيسَ عَجِيبًا أنْ يُسلَّطَ على المسلمين - بعدَ ما أَهمَلُوا القُرآنَ - مَنْ لا يُقِيمُ لهم وَزْنًا، أو يعرِفُ لهم حَقًّا.

وطريقُ العودةِ واضحٌ.. لابُدَّ من عقيدةٍ وشريعةٍ وأخلاقٍ ومعاملاتٍ تتفجَّرُ منْ ينابِيعِ القرآنِ، ويحيَا بها المسلمون من جديد، حياةً تجعلُهُم أُمةَ الوَحْيِ، وصِلَةَ السماءِ بالأرضِ.

١- عَلِ: بمعنى لعلَّ.
٢- يفقهون: يفهمون.
٣- يصبهم: يسكبهم.
٤- تفتدي: تستفيد بمقابل.
٥- التجاهل: الإهمال والإغفال.
٦- الاستكبار: العلو والغلبة.
٧- إيثار: تقديم وتفضيل.
٨- ذريعة: حجة وسبب.

مِـنْ تَجاوُزِ الحقِّ[١]، ومتابَعَةِ الوَهمِ[٢]، أنْ تزرَعَ في الصباحِ، وتَنتَظِرَ الحصـادَ في الأَصيـل[٣]! إنَّ لكُلِّ شـيءٍ أَوَانًا[٤] يَتِمُّ به، رضِـيَ المَرءُ أَمْ سَخِطَ[٥].

والإنسانُ لا يَشُبُّ[٦] في يوم، والحضارةُ لا تزدَهِرُ في شَهر، والنتائجُ تتحقَّقُ وَفْقَ قوانينَ مَضبُوطَةٍ، تَتِمُّ مَع كَرِّ الغَداةِ[٧] وَمَرِّ العَشِيِّ[٨].

ومهما دعا المؤمنُ فلابُدَّ منَ الصَّبرِ على سُـنَنِ الله الكونية، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١].

ورِعايةً للزَّمانِ، وخُضُوعًا له، جـاءَ الحديثُ عنه في الآية اللَّاحِقة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢].

ومـع سَـيْرِ الزَّمـنِ تقـومُ دُوَلٌ وتنهـزِمُ أُخـرَى، ويَعلُو أمـرُ اليهودِ ويَسْـفُلُ[٩]، كما أبانَ الوحيُ أولَ السـورةِ، وكذلكَ تتقلَّبُ الدنيا بغيرهم من الناس.

١- تجاوز الحق: خالفه ولم يتقيد به.
٢- متابعة الوهم: مواصلة الشكوك والوساوس.
٣- الأصيل: - هنا - ما بعد العصر إلى المغرب.
٤- أوانًا: وقتًا.
٥- سخط: غضب.
٦- يشب: ينمو.
٧- كر الغداة: قدوم الصباح.
٨- مر العشى: قدوم الليل.
٩- يسفل: ينزل من أعلى، يذل.

لكنَّ الإنسانَ هو المسؤولُ الأولُ عن نفسه، إذا عَقُلَ فقد اتَّخذَ القرارَ السليم، وإنْ شَرَدَ[1] هَوَى ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ[2] وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ... ﴾ [الإسراء:١٥].

وهذا قانونٌ للأفرادِ والشعوب، كشَفَ القرآنُ الكريمُ هنا أنَّ التَّرَفَ[3] أولُ مَظاهِرِ الفَساد في الأُمةِ، وأنَّ المُتْرَفِينَ هم الجراثيمُ الحامِلَةُ والناقِلَةُ للمرضِ، وأنَّ مُطاوَعَتَهُم[4] خُطوةٌ إلى الهاوية، ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء:١٦].

والحَضاراتُ القائمةُ على الدِّينِ تَظَلُّ مُعتَصِمَةً[5] به، وحامِلَةً لِواءَهُ[6] ما ظَلَّتْ بعيدةً عن التَّرَفِ والمراسِمِ الفارِغَةِ[7]، وقسوةِ القَلب.

ويتِمُّ لها ذلك إذا حَدَّدَتْ مَوقِفَها من الآخرة تحديدًا واضحًا، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ... ﴾ [الإسراء:١٨].

ما نشاء لمَن نُريد!! عبارةٌ صارمةٌ، إنَّ اللهَ لا يُغلَب على أَمْرِه، ولا يُنالُ ما عنده إلا بإرادتِهِ، وما يَمْلكُ أحدٌ عليه شيئًا.. والتَّدَيُّنُ الكاذب لا يَرُوجُ[8] عندَ اللهِ، وليستْ لأهله وَجاهَةٌ[9]، ويقول سبحانه هنا: ﴿ وَكَمۡ

١- شرد: سار على غير هدى.
٢- وازرة: نفس حاملة للخطيئة.
٣- الترف: التنعم برفاهية زائدة.
٤- مطاوعتهم: موافقتهم.
٥- معتصمة: محمية.
٦- لواءه: رايته وتعاليمه.
٧- المراسم الفارغة: تقاليد لا تنبغي مراعاتها.
٨- يروج: يزين ليقبل به.
٩- وجاهة: استحقاق وأهمية.

﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ...﴾ [الإسراء:١٧]، والحديثُ عن الأمَمِ السابقةِ حتى بِعثَةِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، أمَّا بعدَ ذلك فقد تحدَّثتْ آيةٌ أُخرَى عن مَصايرِ[١] المجرمين، ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا[٢]﴾ [الإسراء:٥٨]، والكتاب فيما يبدُو هو سِجِلُّ العِلمِ الإلهِيِّ.. والتحذيرُ لنا وللناس أَجمعين.

ما النَّجاةُ من هذه المَصايرِ؟ تسوق سورةُ بني إسرائيل خلالَ صفحتَين حافِلَتَين جُملةً من الوصايا العظيمةِ تَعصِمُ[٣] الناس من الزَّلَلِ[٤]، وتقودُهم إلى الرُّشْدِ، وتضمَنُ لهم الرِّعايةَ الإلهيةَ في الحاضر والمستقبل.

وتبدأُ هذه الوصايا بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ...﴾ [الإسراء:٢٣]، وتنتهي بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا[٥]﴾ [الإسراء:٣٩]، بدأتْ هذه النصائحُ بتوحيدِ اللهِ، وخُتِمتْ كذلك بتوحيده؛ لأنَّ القلبَ الذِي يَعْنُو[٦] لغيرِ اللهِ لا أَمَلَ فيه، والاستقامةُ الكاملةُ مربوطةٌ بالتوحيدِ الكامل.

ومعَ عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ يجيءُ البِرُّ بالوالدين، ويُدرِكُ المرءُ قيمةَ هذهِ

١- مصاير: جمع مصير، وهو ما ينتهي إليه الأمر.
٢- مسطورًا: مكتوبًا مصفوفًا.
٣- تعصم: تحفظ وتقي.
٤- الزلل: الوقوع في الذنب.
٥- ملومًا مدحورًا: مُلَامًا مطرودًا.
٦- يعنو: يخضع ويُذِلُّ نفسَه.

الوصيَّـةِ عندما يتأمَّلُ في المجتمعات الغربيَّةِ، ويَرْمُقُ[1] مَلاَجِئَ العَجَزَةِ، أي: الآباءِ والأمَّهاتِ عندَ الكِبَرِ.

لقد ضاقَـتْ بهم بُيوتُهم، وابتَعَدَ عنهـم أولادُهُم، وصارُوا إلى هذه المَبانِي المخَصَّصةِ لهم حتَّى يُدركَهُم الموتُ!!

إنَّ الأجيالَ التي وَهَبَت الحياةَ للآخَرِين لَمْ تجِدْ لدَيهم لَمْسَـةَ وفاءٍ؛ إنَّهـم يَنطَلِقون فـي الدنيا انطـلاقَ الوحشِ فـي البَريَّةِ، حتَّـى إذا وَلَّى[2] شبابُهُم سَكنُوا في مَسـاكِنِ آبائِهم بعدَ أنْ يُخْلِيَها منهمُ الموتُ، وهكذا.. لقد صارتِ الأَثَرَةُ[3] قانونًا!!

والغريبُ أنَّ الآباءَ يُرَبُّونَ أولادَهم حتَّى البُلوغِ، فإذَا جاءَ سِنُّ الرُّشْدِ فَلِـكُلٍّ وِجهَـةٌ هو مُوَلِّيها![4] مـا تجمَعُهم في الدنيا إلاَّ أعيـادُ الميلادِ، أو مناسباتٌ خاصةٌ...

إنَّ للجماعـة المؤمنَـةِ إشـاراتٍ أُخـرَى، يقـول الله فـي الوالدين: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسـراء:٢٤]، ويقول في الأقارب: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٦].

والتفسـيرُ الحَقُّ – عندي – أنَّ المرءَ لا يجوز له التوَسُّـعُ في النفقةِ والاسـتكثارُ[5] من الكماليات، فإن ذلك تبذيرٌ يَحْصُدُ ما لدَيهِ، ولا يُبْقِي

---

١ – يرمق: ينظر ويراقب.
٢ – ولى: ذهب وأدبر.
٣ – الأثرة: الأنانية وحب النفس.
٤ – موليها: مستقبلها ويتولاها.
٥ – الاستكثار: الرغبة في الكثير منه.

عنده فَضْلًا[1] يُعطِيه قَريبًا أو بعيدًا.

وأكَّدَ القرآنُ الكريمُ هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً [2] إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا [3] ﴾ [الإسراء:٢٩].

وسياسةُ تقليلِ النَّسْلِ لا تُغنِي عن الشعوب البَليدَةِ[4] شيئًا! يجب أن تلتمس المفاتيحَ[5] لخزائن الخيرات التي بَثَّها اللهُ هنا وهناك، والسماءُ لا تُمْطِرُ القاعدين ذهبًا ولا فضة... ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ... [6] ﴾ [الإسراء:٣١].

ونهَى القرآنُ عن الزِّنَى، والزنَى عُملةٌ مُتَداوَلَةٌ[7] في الحضارة الحديثة، وهو أفضلُ من الكَبْتِ[8] في مجال التربية عندهم، ولا يعاقَبُ عليه قانونًا مادام بالتراضي!! والله يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

ومع أنَّ قَتْلَ النفسِ جريمةٌ، فالقانون لا يَقْتُلُ القاتلَ... وقد حُرِّمَتْ عقوبةُ الإعدام في دُوَلٍ كثيرةٍ! وأدَّى ذلك إلى شيوعِ القتلِ وسَفْكِ الدماء الحرام، ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا

١- فضلًا: زيادة عن الحاجة.

٢- مغلولة: مقيَّدة، والمراد - هنا -: بخيلة لا تنفق.

٣- ملومًا محسورا: تُلام وتتحسَّر.

٤- البليدة: الكسولة، قليلة النشاط.

٥- المفاتيح: الأدوات.

٦- إملاق: الفقر والعوز.

٧- متداولة: شائعة ومنتشرة.

٨- الكبت: الإمساك وعدم الإظهار.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا [١] فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣].

وأمر اللهُ الناسَ باحترام مالِ اليتيم، وبالوفاء بالعهود، وبضبط المكاييل والموازين، ثم ذكر لكلِّ إنسانٍ أنه مسؤولٌ عن سمعه وبصره وقلبه، إنه مسؤول عن كل شيء فيه، فلا يجوز أن يحيا فَوْضويًا سائبًا[٢]، ﴿وَلَا تَقْفُ [٣] مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

ولو أن الناسَ وقفوا أمامَ ما يُعْرَضْ لهم من أوهام، ولم يصدِّقوا ما وصل إليهم من شائعات، لَنَجَوا من شرور جَمَّةٍ[٤]!

ونهَى القرآنُ أخيرًا عن الخُيَلَاء[٥] وذهاب المَرْءِ بنفسه، ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا [٦] إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧].

إن هذه الوصايا تُقِيم الفَرْدَ المؤمنَ والشعبَ المؤمنَ، والحضارة الصالحةَ، ولنْ يَهْزِمَ اللهُ أُمَّةً تمسكتْ بهذه الخِلال[٧].

بدأ في ختام هذه النصائحِ حديثٌ شَجِيٌّ[٨] عن الله ولِقائه، والكونِ وخالِقِهِ!

١- سلطانًا: نفوذًا وسيطرة.
٢- سائبًا: يذهب حيث شاء.
٣- تقف: تتبع، والمراد: لا تحكم بالظن.
٤- شرور جمة: شرور كثيرة.
٥- الخيلاء: العجب والكبرياء.
٦- مرحًا: فخورًا متكبرًا.
٧- الخلال: الخصال.
٨- شجي: مؤثر يثير العواطف.

وأذكُرُ أن الدكتور أحمد زكي وصف الكونَ بشموسه وأقماره: بأنه كونٌ راقِصٌ، كلُّ شيءٍ فيه يتحرك! من شروق إلى غروب، ومن عُلُوٍّ إلى هبوط، إنه يتحرك وَفْقَ نَغَمٍ معين لا فوضَى فيه ولا نَشاز[١].

وكلُّ دقيقةٍ تمرُّ تشهد بعَظَمَة صاحبه، وتنطِقُ بعُلُوِّ قَدْرِه، ومع ذلك فلا أدري لِمَ أَنا مَبهورٌ[٢] بخَلقِ الإنسان؟ تائهٌ في أسرار القدرة الكامنة[٣] في خَلْقِه؟ نظرتُ تحت الساعة الموضوعةِ بمِعْصَمِ يدِي اليُسرَى! كانت ضاغطةً قليلًا على الجلد، أثَّرَ ذلك في الشُّعيرات الدموية قليلًا، لم يؤثِّرْ في قنوات الأعصاب التي تحمل الإحساسَ، ولا في أفواهِ الغُدَدِ التي تُمِدُّ الشَّعرَ بالغذاء، ولا في الخلايا التي تُفرِز العَرَقَ!!

وتتابع فِكرِي في هذا الجسم كلِّه وأجهزته العاملة، وكيانه المتجدِّد[٤] كما يقول العلماء، إن مئات الملايين من الخلايا تعمل مؤدِّيةً وظيفتها بدَأَبٍ[٥] ونظام، وتُحَدِّد لأبناء آدمَ مسيرَتَهم في هذه الحياة !!

أتدري خليةٌ في المخِّ أو في الأصابع ما تعمل؟ ليس لكُرات الدم البيضاء أو الحمراء أو لغيرها من أعضاء الجسد عقلٌ تهتدي به!

إن بارئها[٦] أودع فيها وظيفتها ودفعها في مسارها، فما تَحِيد عنه يَمْنَةً أو يَسْرَةً.

١- نشاز: خارج عن المحدد له.

٢- مبهور: معجب أشد الإعجاب.

٣- القدرة الكامنة: القوة الخفية الموجودة داخل النفس.

٤- كيانه المتجدد: ذاته التي تتجدد.

٥- بدأب: استمرار ومواظبة.

٦- بارئها: خالقها.

أذلك ليومٍ واحد؟ كلَّا! إنه لعُمْرٍ مكتوب لا يزيد ولا ينقص!

أذلك في شخص واحد يتركزُ الاهتمامُ فيه؟ كلَّا، إنه في أكثر من سبعة مليارات شخص يتوزع الاهتمامُ عليها، فما يقِلُّ في أحدٍ عن آخر!

ألا يَصرُخُ ذلك بعَظَمَةِ البارئ الأعلَى؟ إن كلَّ فردٍ، بَلْ كلَّ ذرةٍ، شاهدُ صِدْقٍ على عَظَمَة الله!

ونظرت في سورة «سبحان»[1]؛ فإذا اللهُ جلَّ شأنُهُ يخاطب المشركين بحديث عجب: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا[2] فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤١-٤٤].

ولست أُحقِّق[3] هنا: هل تسبيح الكائنات بحمد ربِّها دلالةُ حالٍ[4] أو دلالة مَقال[5].

إن الكون - على أية حال - لا يقوم[6] بنفسه، وإنما يقوم به الحيُّ القيوم!!

١- سورة سبحان: من أسماء سورة الإسراء.

٢- صرفنا: كررنا القول بأساليب مختلفة.

٣- أحقق: أثبت بالدليل.

٤- دلالة حال: بذاتها، دون ألفاظ.

٥- دلالة مقال: باللفظ.

٦- يقوم: يدبر أمره.

وإذا صَعُـبَ على مُغفَّـل[1] أن يعرف اللهَ، وأن يُقِـرَّ بوَحدانِيَّتِهِ، فلن يضرَّ اللهَ شيئًا، فكل شيءٍ يسبِّح بحَمده!

ومضت السورة تحدِّث المشركين عن الله الذي هجروه، واتخذوا الأصنـامَ آلهـةً مِنْ دُونِه، إنهـم ذاهلون تائهون[2]، لا يحبون أن يسـمعوا حديثًا عنه!

وهم يحسبون الرسولَ رجلًا مسحورًا، وهم يعتقدون أنه لا حياة إلا فـي هذه الدنيا، وتلك طبيعة الدواب! إنَّ الدواب لا تشـعر بغدٍ قريب أو بعيد، إنها تعيش يومها وحسب، هي محبوسة وراء محيطه.

والغريب أن العالم المعاصر لا يدري إلا هذا المنطق، وهو يُشِيعُهُ[3] في عالم الفن والغناء، وعالم القانون والفلسـفة!! ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا[4] وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢].

والإنغاض: تحريك الرأس علوًا وسفلًا إنكارًا واستهزاء...

وفي موضع آخر من السورة تكرر رفضُ المشركين للبعث والجزاء، فبيَّـن القرآنُ الكريم أن الإنسـان امتاز على الدواب بعقلـه، فإذا فَقَدَ هذا

١- مغفل: جاهل يسهل خداعه.

٢- تائهون: ضالون.

٣- يشيعه: يقره وينشره.

٤- رفاتًا: حطامًا وفتاتًا بعد الموت.

العقـلَ نظر ولم يَرَ[١]، وسـمِع ولم يَعِ[٢]، ونطق بالباطـل، وفقَدَ أهليَّتَه[٣] لهداية اللـه، وعَالَن[٤] بإنكاره لوجوده ولقائه: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ[٥] زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا[٦] ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا[٧] أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء:٩٧-٩٩].

وفي سورة «بني إسرائيل» لا غرابة أن يوصي اللهُ المسلمين بإحسان القـول، ففي وصايـا الله لليهـود، قال تعالـى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقـرة:٨٣]، فلْيَكُنِ الإحسـانُ في القـول، والتَّلَطُّفُ في الدعوة شـيمةَ[٨] الأمة الخاتمة! ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ[٩] بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

وتَلَتْ ذلك إشـارةٌ إلى أنَّ أمرَ المسـلمين سـوف يعلُـو حتى يرثوا الأرضَ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ

١- نظر ولم ير: زاغ بصره.
٢- سمع ولم يع: سمع ولم يفهم.
٣- أهليته: كفاءته وصلاحيته.
٤- عَالَن: جاهر وظاهر.
٥- خبت: همدت وخمد لهيبها.
٦- سعيرًا: النار الشديدة.
٧- رفاتًا: عظامًا مفتتة.
٨- شيمة: خصلة، طبيعة.
٩- ينزغ: يميل عن الحق.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:٥٥]. إن الزَّبُور الذي نزل على داودَ يقول الله فيه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، فإيثارُ[١] داود بالذِّكْرِ لَفْتُ نظرٍ لهذه الإشارة الدالَّة على خُلود أمَّتنا واتصالِ رسالتها.

والحقُّ أن التوحيد الذي تميزت رسالةُ الإسلام بتقريره[٢]، وتحمَّست لإشاعته[٣]، يربط الناسَ بربِّهم ربطًا شديدًا، ويجعل عُرْوَتَهم[٤] به وَثيقةً، ويقرِّرُ أنَّ كلَّ ما عدا اللهِ عبدٌ له، مَقهورٌ في جلاله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ[٥] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا[٦]﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧].

واقتضى المقامُ هنا حديثًا عن آدمَ وبَنِيهِ! لقد كان آدمُ جديرًا بأنْ يكون أفضلَ حالًا ومَآلًا بَعدما اصطفاهُ[٧] اللهُ وأعلَى شأنَه، وأَسجَدَ له ملائكَتَهُ.

وكان بَنُوه جَديرِين بأنْ يُكذِّبوا ظُنونَ إبليسَ، بعدما أَفَاء[٨] اللهُ

١- الإيثار: تقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس.

٢- تقريره: إيضاحه واعتماده.

٣- إشاعته: نشره وإذاعته.

٤- عروتهم: روابطهم.

٥- الوسيلة: مما يتقربون به إلى الله تعالى.

٦- محذورًا: مُتَّقَى.

٧- اصطفاه: اختاره وفضَّله.

٨- أفاء: أنعم وأعطى.

عليهم من نَعمائِهِ ما يُلْهِجُ[1] الألسنةَ بالشُّكر، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠]، لكنَّ سيدنا آدم وَهَنَ عَزْمُهُ[2]، وأبناءَهُ نَسُوا الجميلَ الذي يمرَحُون[3] فيه، فلم يكُنْ مِنْ مُؤاخَذَتِهم بُدٌّ[4]، وجاء في هذا القرآنِ مِن شأنهم ما يُثيرُ الدَّهشَةَ، فلْنَتَدبَّرْه لنعرف كيف نفعل...

إن اللهَ مَنَحَنا العُقولَ لنُفكِّر ونَحكُم، ونميِّز الحسنَ من القبيحِ، والطيِّبَ من الخبيث، وما قيمة عقولِنا إذا لم نفعل ذلك؟!

وعندما نقول لرجُلٍ: واحد وواحد تساوي اثنين، فيقول لك: لا أصدِّق حتى تنقلَ الجبلَ من مكانه! أفترَى أنَّ لهذا القائل منطقًا جديرًا باحترام؟!

إن محمدًا رسولَ الله ﷺ بَذَلَ جَهدَهُ في إثبات أنَّ اللهَ واحدٌ، وأنَّ وجودَه الأعلَى أَصْدَقُ من كلِّ وجودٍ، فقيل له: بلْ أصنامُنا أولَى بالتقدير! وتحدَّوه أن يأتي بمعجزةٍ تُصَدَّق!

ولو أن هؤلاء أصحابُ نفوسٍ سَوِيَّة[5] وعقولٍ سليمةٍ، لجازَ أن يتنزَّل القدَرُ الأعلَى ويجيبُهم إلى ما يريدُون، المشكلةُ أن كفرَهُم يبقَى بعدما يُجابُون، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٥-٦].

١- يلهج: يجعلها دائمة الشكر.

٢- وهن عزمه: ضعفت قوتُه.

٣- يمرحون: ينعمون بفرح وسعادة.

٤- بد: المراد الحتميَّة والضرورة.

٥- سوية: تامة الخَلْق.

لقد طَلب أهلُ مكةَ من محمدٍ أنْ يجعَلَ الصَّفا[1] ذَهَبًا؛ حتى يُصدِّقوا رسالَتَه ! فكيف إذا حوَّل لهم الجبلَ إلى ذهبٍ ثم ظلُّوا على تكذيبِهم؟ إنه مُهلِكُهُم يقينًا، إن اللعبَ مع السماءِ لا يَسُوغُ[2]. وفي هذه السورة (الإسراء) يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ [3] فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء:٥٩].

على أنَّ قريشًا لمْ تطلب خارقةً[4] ما، بل حددتْ بِضْعَ خوارقَ عَدَّتْها عَدًّا، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا [5] أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا [6] ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ [7] أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ [8] حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

الواقعُ أنَّ اللهَ لو حقَّقَ لهم ما يطلبون ما خالطَتْ بشاشةُ[9] الإيمان قلوبَهم، كما قال تعالى في مكان آخَرَ: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

١- الصفا: المقصود جبل الصفا بمكة.

٢- يسوغ: يُبرَّر

٣- مبصرة: بَيِّنَةً.

٤- خارقة: معجزة.

٥- كسفًا: سحابًا يغطي ضوء الشمس.

٦- قبيلًا: على سبيل الإيضاح.

٧- زخرف: ذهب.

٨- لرقيك: لارتفاعك في السماء.

٩- بشاشة: - هنا - بمعنى: أنوار وسعادة.

فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ[1] ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ[2] أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾[3]﴾ [الحجر:١٤-١٥].

إنَّ العِنـاد مَلَـكَ قلوبَهم، وليـس الكفرُ عَرَضًا[4] سـريعًا يمرُّ ببعض النـاس، إنه مَزيجٌ من الحَسَـد والغبـاء، والطمع والأَثَـرَة[5]، والبعدُ عن الكفر يتطلب عقلًا واعيًا، وحُكمًا عادلًا، وخُلُقًا زاكيًا[6].

والمعركةُ بين الكفرِ والإيمان ليسـت جَولةً سريعة، إنها صراع يظلُّ سِـنين؛ لقوله تعالـى: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ[7] وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ...﴾ [الأنفال:٤٢]، فمَنْ أُوتيَ كتابَه بيمينه فأولئك يقرؤونَ كتابَهم، ولا يُظلَمـون فَتيـلًا[8]. ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٢].

ومحمـدٌ عليه الصلاة والسـلام إمـامُ أُولـي العَزمِ الذيـن جاهدوا الضـلالَ فـي الأزمنـة الماضيـة، وهو فـي الجزيـرة العربية لن ينشـغِلَ بمآرِبِ[9] كُفَّارها ومُقترحاتِهم، فرِسـالتُه العامـةُ: إصلاحُ الخَلَلِ في كلِّ نَفْسٍ، في أَيَّةِ قارَّةٍ، إلى أن تقوم الساعةُ.

١- يعرجون: يصعدون إلى السماء.
٢- سكرت: سُدَّت ومُنعت.
٣- مسحورون: أصابنا السحر من محمد.
٤- عرضًا: أمرًا طارئًا.
٥- الأثرة: الأنانية وحب النفس.
٦- زاكيًا: ناميًا كثيرًا طيبًا.
٧- بينة: حجة واضحة.
٨- فتيلاً: قدر الخيط الذي في شق نواة التمرة.
٩- مآرب: حاجات مُلِحَّة.

ويزيدُ عِبْؤُهُ[1] جَسَـامَةً[2] إلى أنه يعتمد في نجاحه - بعد تأييدِ الله - على تحريك ا لعقولِ وهَزِّ التقاليد، ومعالجةِ العِوَجْ البشريِّ بالهُوَينَى[3]، حتى يُسْلِسَ[4] قيادَه! ويا لها من مهمّة!!

هؤلاءِ كُبَراءُ يرفُضونَ أنْ تَجمَعَهُم مع جماهيرِ الناسِ ساحةٌ، وقديمًا قالوا لسيدنا نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا﴾ [الشعراء:١١١-١١٤].

إنهـم يطلُبون من سـيدنا محمدٍ ﷺ أنْ يجعلَ لهـم مكانةً خاصةً إذا أراد أنْ يؤمنوا له!!

وقد ينفِقُ من وقته واهتمامه الكثيرَ ليعالجَ زعيمًا إذا آمن تَبِعَتْهُ أُلوفٌ من الأنصار! وربما أخذ هذا الوقت من حقِّ آخر فقير! وفي هذا يقول الله لـه: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴿٦﴾ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ ﴿٧﴾ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٨﴾ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ ﴿٩﴾ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥].

١- عبؤه: حِمْلُه الثقيل.

٢- جسامة: ضخامة.

٣- الهوينى: برفق وبطء.

٤- يسلس: يسهل.

٥- الأرذلون: السفلة من الناس.

٦- يفتنونك: يوقعوك في الفتنة.

٧- تفتري: تختلق كذبًا.

٨- خليلاً: صفيًّا خالص المحبة.

٩- تركن: تميل.

إن سياسةَ الدعوةِ شيءٌ، والانحرافاتِ الخُلُقيَّةَ شيءٌ آخَرُ، وقد عاتب الله نبيَّه لانشغاله بأحدِ الكُبَراء عن أَحَدِ الضعفاء. والسياقُ كلُّه تنبيهٌ إلى كَيدِهم، وتحذيرٌ من مُلاينَتِهم[1]... وتلا ذلك كشفٌ عن خباياهم[2] وعما يُبَيِّتون[3] لدعوة الإسلام من شرور، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ [4] مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ [5] إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٦]، إنهم أحرجوه في مكة كلَّ الحَرَجِ، وكانوا قد رأوا إخراجَه، ثم اختاروا قَتلَه.

وقد خرَجَ الرسولُ ﷺ مُهاجرًا، ونجَّاه اللهُ من كيدهم[6]، ولم يَلْبَثُوا إلا قليلًا بعدَه حتى انتصرَ الإسلامُ، وعاد إلى مكةَ ظافِرًا[7]، وصدَقَ اللهُ وَعْدَهُ.

وبعد جهادِ الدعوةِ جاء جهادُ العبادة، فكُلِّفَ الرسولُ ﷺ بالصلاة ليلًا ونهارًا، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ [8] ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ [9] ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا [10]﴾ [الإسراء:٧٨].

إنني أَلَّفتُ كتابي «فنَّ الذِّكر والدُّعاء عند خاتَم الأنبياء»، وقد تملَّكني

١- ملاينتهم: مسايرتهم ومعاملتهم بلطف.
٢- خباياهم: ما يخفونه من مشاعر وأحاسيس.
٣- يبيتون: يدبرون ليلًا.
٤- يستفزونك: يزعجونك.
٥- خلافك: بعدك.
٦- كيدهم: حيلتهم السيئة ومكرهم.
٧- ظافرًا: منتصرًا.
٨- دلوك الشمس: ميلها للغروب.
٩- غسق الليل: أول ظلمة الليل.
١٠- مشهودا: تشهده الملائكة.

شـعورٌ بأنَّ الأرضَ من الأزَلِ إلى الأبدِ لم تشهدْ ذاكِرًا عابدًا مُتَفنِّنًا[1] في الثناء على الله وتمجيدِهِ وتقديسِهِ كما رأتْ في سيرةِ محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وآثارُهُ في كتابه وسُنَّتِهِ ناطقةٌ بهذه الحقيقة!

إنَّ محمـدًا ﷺ كلمـةُ اللهِ الأخيـرةُ إلى النـاسِ، واللَّبِنَـةُ[2] التي تمَّ بها بُنيـانُ النُّبُوَّاتِ الأُولى، وقد كان أهلُ الكتاب يشـعرون بأنَّ هناك نبيًّا قادمًـا، ويجدون فيما لديهم ما يدعو إلى ارْتِقابِـهِ[3] وتصديقه، فلمَّا جاء سـارع المُخلِصون إلى اتِّباعِه، قـال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ[4] لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ[5] وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا[6] ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ[7] سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا[8]﴾ [الإسراء:١٠٥-١٠٨].

والتاريخُ العالميُّ يذكُرُ أنَّ نصارَى الشامِ ومصر سارعوا إلى الدخول في الإسلام بعد زوال الاستبدادِ الرُّوماني، ثم حمَلُوه مع العرب إلى آفاق العالَمِين...

١- متفنناً: ذا موهبة استثنائية.

٢- اللبنة: وحدة من الطين تُعدُّ للبناء.

٣- ارتقابه: انتظاره.

٤- فرقناه: فصَّلناه وبيَّنَّاه.

٥- مكث: تمهل وتأنى.

٦- ونزلناه تنزيلاً: أنزلنا القرآن شيئًا بعد شيء.

٧- يخرون للأذقان: البكاء من خشية الله، وهو من علامات الإخلاص.

٨- مفعولاً: ذا تأثير ونتيجة.

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
في تفسير سورة الإسراء (بتصرُّف)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ الصادقِ الوعدِ الأمين.

ابتدأت سورة الإسراء بهذه الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، (سُبْحَانَ) مصدرٌ بمعنَى التنزيه والتقديس والتمجيد.

السببُ وَحدَه لا يكفي لإحداث النتيجة

ما علاقةُ التسبيحِ بهذه المُعجِزةِ التي كانت للنبيِّ عليه الصلاة والسلام؟ العلاقةُ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى حينما خَلقَ الكونَ، خَلَقَهُ وَفْقَ نظامٍ، وجعل لكلِّ سببٍ نتيجةً، وجعل -فيما يبدُو لنا- الأسبابَ تؤدِّي إلى نتائجَ، لكنَّ الناسَ بعد أنْ أَلِفُوا أنَّ هذه الأسبابَ تؤدِّي إلى النتائج، قد يَغفُلُون عن أنَّ مُسَبِّبَ الأسبابِ هو الله تعالى.

إذا وُجِد السببُ ولم يُحقِّق النتيجةَ المتوقَّعةَ، كان هذا دليلًا على أن السببَ وَحْدَهُ لا يكفي لتحقيق النتيجة، وإذا كانت النتيجةُ دونَ سببٍ، فمعنَى ذلك أن السبب ليس له دورٌ حقيقيٌّ في إحداث النتيجة، لكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، هذا يتضح بمَثَل:

اللهُ سبحانه وتعالى جعل توالُدَ البَشَرِ عن طريق الزواج، فلا بُدَّ من زواجٍ بين رجل وامرأة لتنجب المرأة طفلًا، وهذا هو النظام العام، وإذا

عطَّلَ الإنسانُ فِكرَه وتوهَّم أنَّ كلَّ زواجٍ يؤدي إلى مولود، عندئذ لا نجد حالةَ العُقْم.

الرجل والمرأة قد لا يُنجبان طفلًا، وقد خلق الله عز وجل آدم دونَ أبٍ ولا أمٍّ! وخلقَ سيدَنا عيسى دون أبٍ، وخلق السيدة حواء من ضلع سيدنا آدمَ. إذَنْ، ليس كلُّ سببٍ يؤدي إلى نتيجة، ومعنى ذلك: أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الخالقُ، وما هذه الأسبابُ إلا قرائنُ رافقت النتائج، لكنها ليست هي الخالقة.

إذَنْ، إنَّ السبب وَحدَه غيرُ كافٍ لإحداثِ النتيجةِ، هذا أوَّلُ معنًى؛ ولذلك فرَبُّنا عز وجل من حينٍ لآخرَ يخرِقُ هذه القوانين، يُبْطِلُها أو يُعطِّلها، فتأتي النتيجةُ بلا سبب، فنقول: إن الله تعالى قد أبطلها، أو يكون السبب ولا تكون نتيجة، فنقول: إن الله تعالى قد عطّلها؛ من أجْلِ أنْ تؤمن أنه لا إله إلا الله، وأن الله هو وَحْدَهُ الخالقُ، فسبِّح أيُّها المؤمنُ، أيها المُسلم، ونَزِّه وَمَجِّد وَعَظِّم اللهَ الواحدَ الأحَدَ خالقَ هذا الكونِ بكلِّ ما فيه...

تعطُّل قانون الزمان والمكان في معجزة الإسراء والمعراج

لذلك، أنْ ينتقلَ إنسانٌ من مكةَ إلى بيتِ المَقْدِس، وأنْ يعرُج إلى السماوات، وأن يصلَ إلى سِدرَةِ المُنْتَهَى، وأنْ يعود إلى مكة... في جزء يسير من الليل، هذا فوق طاقةِ البَشَر، لا يمكن أن يُحْدِثَ هذا إلا خالقُ الكونِ، اللهُ سبحانه وتعالى، في هذه الحادثةِ هو الذي عطَّل قانونَ المكانِ، وقانونَ الزمانِ، فجاء النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وانتقل بجسده الطاهر وبروحه الشريفة من مكة المكرمة إلى بيت المَقْدِس،

ومن ثَمَّ من بيت المَقْدِس إلى السماء، فالانتقال (ليلًا) من مكة المكرمة إلى بيت المَقْدِس «إسراء»، والانتقال من بيت المَقْدِس إلى السماوات العُلَا «معراج».

لا يحدُثُ في الكونِ شيءٌ إلا بأمر اللهِ وعِلمِه وقُدرتِه وتقديره. إذَنْ: مناسبةُ أنْ تأتي كلمةُ (سبحانَ) في مطلَعِ سورةٍ تشير إلى هذه المعجزة التي تمَّت للرسول عليه الصلاة والسلام بانتقاله كما أسْلَفْنا.

معنى: أَسْرَى: يُقال: سَرَى وأَسرَى، سرى مشى في آخر الليل، وأسرى مشى في أول الليل، فالله تعالى أسرَى بعبده في أول الليل. والليلُ وقتُ المناجاة، ووقت الاتصال، ووقت التهجد، ووقت الإقبال والتضرع.

معنى: عَبْدِهِ: أما (عبده) فهو أكملُ المخلوقات خُلُقًا وعِلمًا، وأكملهم عبودية. وأعلَى مرتبةٍ ومقام يناله الإنسانُ على وجه الأرض أن يكونَ عبدًا لله، فإذا كَمُلَ علمُهُ كمُلَتْ عبوديتُه، من أنت؟ كنت لا شيء، فأصبحت - بالله - خيرَ شيء.

هناك ثلاث كلمات مُهلِكات: أنا، ولي، وعندي، قال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف:١٢]، فأهلكه اللهُ عز وجل.

وقال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨]، فخسف اللهُ به الأرضَ.

وقال فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١]، فأغرقه الله تعالى.

إذا قلتَ: أنا ذاكرتي قويةٌ، دونَ أن تَنْسُب هذه النعمة لله تعالى، فالله عز وجل قادر في لمح البصر أن يجمِّد قطرةَ دمٍ في بعض شرايين المخ فتفقد ذاكرتك!!

وكلمةُ (بِعَبْدِهِ) تفيد أنك كلما تعمَّقْتَ في التوحيد اقتربتَ من العبودية، والعبودية تعني أنك مِنْ أعزِّ الناس، ومن أكرمهم، وأرفعِهم شأنًا، وهل في الأرض كلِّها إنسانٌ أعزَّه الله كهذا النبيِّ العظيم؟

فالعلم يقودك إلى العبودية، والعبادة أرقى درجات العمل، وأرقى درجات العلم أن تقول: لا إله إلا الله، وأرقى درجات العمل أن تعبد الله، ولذلك فالأنبياء جميعًا مُلخَّصُ دعوتهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

شرفُ إضافة العبد إلى ربِّه

(بعبده)، الباء هنا للمصاحبة، مما يعني مُصاحبَةَ ومعيَّةَ اللهِ سبحانه وتعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم في رحلته تلك، والهاء في عبده ضمير يعودُ على الله سبحانه وتعالى، هل من تشريفٍ أعظمَ من أن يضافَ العبدُ إلى سيدِه؟ وإلى خالقه؟ وإلى الذات العليَّة؟ وإلى صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى، وإلى الله الواحد الأحد، الفرد الصمد؟

معنى: لَيْلًا: تأكيدٌ على أن هذه المعجزة تمَّت في جزء من الليل.

القمرُ يعدُّ أقربَ شيءٍ للأرض، يبعد عنا ثانية ضوئية، فإذا تألق ضوء في القمر وصل إلينا في ثانية واحدة، والشمس تبعد عنا ثماني دقائق، والمجموعة الشمسية قطرها ثلاث عشرة ساعة، وبعض المجرَّات تبعد عنا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية! وهذه كلها تتألف من النجوم التي لها شأن عظيم عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة].

هذه المركبة التي ركِبَها الإنسانُ توجهت إلى القمر فبقيت ثلاثة أيام بلياليها منطلقة إليه بأقصى سرعة، سارت أربعين ألف ميل في الساعة، (بينما الطائرة الحديثة جدًّا سرعتها ألف ميل فقط)، ومع ذلك احتاجت هذه الرحلة إلى ثلاثة أيام لتصل إلى القمر! أما النبي العدنان عليه الصلاة والسلام فأسرِي به من مكة، إلى بيت المَقْدِس، إلى السماوات العلا ذهابًا وإيابًا وعاد والفراش لا يزال ساخنًا، فقد عُطِّلَت قوانين الزمان والمكان، ولا يفعل هذا إلا الواحد الديان سبحانه!

كثيرٌ من العلماء قالوا: إن الإسراء إنما كان من بيت أمِّ هانئٍ، فاطمة بنت أبي طالب، وهذا البيتُ كان خارج المسجد الحرام، وإنما أسماه الله «المسجد الحرام» ليدل على أن مكة كلها حَرَمٌ، قال ابن عباس: الحرم كله مسجدًا.

معنى الحرام: أن هذه الكعبةَ المشرَّفةَ، ومكة المكرمة كلها، جعلها اللهُ بلدًا حرامًا، يحرُم القتالُ فيها، ويحرم الصيد فيها، ويحرم قطع النبات فيها؛ لأنها بلد مُقدَّسٌ، ومن أجل أن تكون أمنًا للناس ومَثابَةً، وكذلك المسجد النبوي.

معنى المسجد الأقصى: أي: المسجد البعيد عن أهل مكة، وهو بيت المَقْدِس، وسمي مسجدًا لأن النبي ﷺ سَجَدَ فيه تعظيمًا لله تعالى.

﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: لتشمل البركةُ كلَّ ما حولَ المسجدِ الأقصى، ولا تنحصِرَ في المسجد فقط، فالمباركة المعنوية والروحانية بإرسال الرسل فيه، والمباركة المادية بما أودعه الله فيه من خير ورزق، وقيل: إن البركة تُطلَق لتشمل بلادَ الشامِ، والله أعلم.

﴿...لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

المعراجُ إراءةُ الآياتِ للنبي خاصةً بعد الشدة والضَّيْق

هنا سؤال! (لِنُرِيَهُۥ)، فهذه المعجزة خاصة برسول الله ﷺ، جاءت بعد سنوات عجاف، بعد امتحان مرير، توفي عمه أبو طالب، وتوفيت زوجته خديجة رضي الله عنها، وكانت مؤنسًا له... جاءت بعد الشدة والضيق، والمعارضة والصَّدِّ، والتآمُرِ من قِبَل قريشٍ، بلغ الخطُّ البيانيُّ الحضيضَ، فجاء الإسراء والمعراج تسليةً لهذا النبي العظيم، وإكرامًا له، وتعريفًا بمقامه، وتعريفًا له بأنه سيدُ الأنبياء والمرسلين، وما كان يعرف ذلك قبل هذا التاريخ!

والمعروف أنه في المعراج فُرضت الصلاة، التي هي معراج المؤمن، بها يعرج إلى الله عز وجل، كلما استقام قَبْلَها تقرب إلى الله بفعل الخيرات، وكانت صلاتُه معراجًا له، وكما منَّ الله على هذا النبي العظيم بالإسراء والمعراج، منَّ على سيدنا موسى بالكتاب، فقال تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴿٢﴾﴾

اللـه يمتَنُّ على موسـى بإنزال التوراة عليه، فحَـوَى هذا الكتابُ أن تعبدَ اللهَ وَحْدَهُ و:

﴿... أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾

أي: لا تتخـذوا من دُوني ربًّا لكم، فربُّكم اللهُ، ولا ربَّ سـواه، ولا تتخذوا من دُوني جهةً تعتمدون عليها... وهذا لا ينفي الأخذَ بالأسباب وطلـبَ الحوائج بعزة الأنفُسِ؛ فإن الأمورَ تجـري بالمقادير، ولا ينبغي للمؤمن أن يُذلَّ نفسَه، فلَهُ ربٌّ، وهذا الربُّ بيده كلُّ شيء، مطَّلِع عليك، وكلما اعتمدت عليه أكرمك، وكلما التجأت إليه حماك.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ...﴿٣﴾﴾

هـذه الكلمة منصوبةٌ على النـداء، أي: يا ذريةَ مَـنْ حمَلْنا مع نوحٍ، ونحن جميعًا يشـملنا هذا النداءُ؛ فسيدُنا نوحٌ والذين آمنوا معه هم الذين نجوا من الطُّوفان الذي عمَّ الأرضَ، ونحن ذرية لهم.

﴿...إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

(شـكور) أي: دائـمُ الشـكرِ لله، فكونوا يـا ذرِّيَّته من أهل الشـكر، و﴿سيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران:١٤٤]، وبالشكر تدوم النِّعَم.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

هذه الآية لا تتعارض مع مبدأ (الاختيار)؛ الكلام على بني إسرائيل،

وهم مختارون، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون، وعلم الله عز وجل لا يؤثر في اختيار العبد.

وعادةُ اليهود الفسادُ والعُلُوُّ، أول مرة، وثاني مرة..

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

أي: علوَّ الاستكبار والظلم.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾

إذا حصلَ الفسادُ فإنَّ الله عز وجل يُقيِّضُ لهذا الفسادِ رادعًا وعلاجًا، والعِلاجاتُ أنواعٌ، فقد يكون العلاجُ في الزلزال! وقد يكون العلاجُ في الفَيَضان! وقد يكون العلاج في جَدْبِ الأرض، وشُحِّ السماءِ!... وقد يُذِيقُ اللهُ عبادَه بعضَهُمْ بأسَ بعضٍ، وهذا أحدُ أنواعِ العلاج! قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥].

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا ...﴿٥﴾﴾

هؤلاءِ بنُو إسرائيلَ بعد أن فسَدوا، وطغَوا، وتمرَّدوا، وعَلَوا عُلُوًّا كبيرًا بعث اللهُ عليهم عبادًا له أقوياءَ، قيل: إنهم كانوا (الكلدانيين).

وجاسُوا أي: داسُوا، قَتلُوا مَنْ قَتلُوا، ونَهبُوا ما نَهبُوا، وسَفكُوا الدماءَ، وانتهكوا الأعراضَ، فَسُحِق بنو إسرائيل؛ هذا الوعدُ قد نُفِّذ.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ... ﴿٦﴾ ﴾

بعد أنْ جاءتْ هذه المصيبةُ الساحِقةُ، وهذا الابتلاءُ العظيمُ لبني إسرائيل، وهذا القَهْرُ تاب هؤلاء، ورجعوا واستقاموا، وأعاد اللهُ لهم مُلكَهُم ومَجْدَهم وغِناهُم، ورزقَهُم من الأموال والأولادِ ما تَقَرُّ به العُيون.

الحياةُ كَرٌّ وفَرٌّ، البَطَلُ هو الذِي إذا جاءتْهُ الدنيا لا يَطغَى؛ لأنه إذا طغَى فسوفَ يَقْهَرُه اللهُ سبحانه وتعالى! البطولةُ أنْ تكون مع الله وأنت في الرَّخاءِ، وأنتَ في أَوْجِ نجاحكَ، وأنت في أَوْج صِحتك، وقُوَّتك، وألَّا تنسَى اللهَ عز وجل، فهذه هي البُطولة.

إنَّ ضيِّقَ الأُفُقِ إذا جاءتْهُ الدُّنيا وأصبحَ قويًّا، ينسَى فيطغَى، فيأتيه تأديبٌ من الله عز وجل، ضربةٌ قاضيةٌ، فهذه سُنَّةُ الله في خَلْقه، يعطِي الدنيا، يعطِي الأموال، ويعطي الأولادَ، والقوةَ، والخيراتِ مِنْ كلِّ جانبٍ، ثُمَّ الإنسانُ يعلُو، فينسَى، ويطغَى، فتأتيه ضربة الله القاصمة، فيتوب! ومادام قد تاب يعود الله إلى إكرامه، فإذا رجع إلى معصيته جاءه العلاجُ،

هذا ملخص الآية: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾، هذا مبدأٌ عامٌّ، بعدَ التوبةِ يُنعِمُ اللهُ على عباده بالنَّصرِ، ويُمِدُّهم بالبنين والأموالِ، ويبارك لهم فيها.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ...﴿٧﴾﴾

أي: إن استقمْتَ فلِنَفْسِكَ، تترفَّعُ عنِ المالِ الحرامِ.. لنفسك، تغُضُّ بصرَكَ عن محارم الله.. لنفسك، وسيكون الزواجُ سعيدًا، تنظر إلى الحرام فستشقَى بزواجك! تكسِب مالًا حرامًا فيُدمِّر اللهُ هذا المال، تكسِبه حلالًا فينمو، تكون صادقًا.. يرفعك الله عز وجل، تكذب.. يَحُطُّك، تكون أمينًا يُغنيك، تخون يُفْقِرك.

إذا ملك رجلٌ سيارةً، وأحضر حجرًا وكسر زجاجها، فمن يكون قد آذى؟ ومن أغاظ؟ أغاظ نفسه! وإذا اعتنى بها فله، أراحته وأراحها، ووفَّرَت عليه نفقاتٍ كثيرة، وإذا أساء لها أساءت له.

﴿...وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ...﴿٧﴾﴾

أي: هنالك نوعٌ من الإيلام والإهانة إن عصيتم الله تعالى، وبهذا فإنكم أنتم من تسيئون لأنفسكم.

﴿...وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

التتبيرُ هو التخريب والتدمير، وهذا الكلامُ موجَّه لبني إسرائيل، أي: إن أعداءكم هم الذين سيُوَكَّلون بتأديبكم على فسادكم. وسيهدمون كل شيء عليكم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

هذه الآية وَحْدَها تكفِي، كأنَّ الله عز وجل يخاطب كلَّ واحدٍ منَّا.

﴿...وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا...﴾

قاعدة مهمة.. المعاملة بالمثل

إنْ رجعتَ إليَّ رجعتُ إلى إكرامك، وإنْ نسيتني قيَّضتُ لك ما يُرجِعك، إن رجعتَ إليَّ طوعًا رجعتُ إلى إكرامك ورفْعِ شأنِكَ، وإذا نسيتني وكفَرتَ بي قيَّضتُ لك ما يُزعجك؛ أنت تُريد، وأنا أريد، فإذا سلَّمتَ لي فيما أريد.. كفيتُك ما تُريد، وإنْ لم تسلِّم لي فيما أريد أتعبتُك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أُريد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

هذا قانونٌ، واللهِ الذي لا إله إلا هو، لو لم يكُنْ في هذا القرآن إلا هذه الآيةُ لكَفَتْ!

﴿... وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

إنَّ جهنم مكانٌ في النار، يكون به الكَفَرَةَ فيحصُرُهُم حَصرًا؛ ولذا وُصِفت بأنها (حصير).

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ... ﴿٩﴾﴾

المُطبِّقُ للقرآن سعيدٌ في الدنيا والآخرة

بلاغة وجمال! هذا القرآن، إنْ طبَّقتَه في زواجك يصبحُ زواجُك سعيدًا، ولو طبَّقتَه في صِحتك تمتَّعتَ بها إلى نهاية الحياة، ولو طبَّقتَه في علاقاتك المالية، ولم تأكلِ الرِّبا.. يبارك اللهُ لك في مالك، ولو طبَّقتَه

في أمور التجارة وفي الصناعة وفي الزراعة...

إن طبَّقت القرآن في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]، وتكون أعلى منها علمًا وخُلُقًا وأدبًا وصلاحًا، وتنفق عليها وتملك القيادة، فإذا كنتَ دونها وَرَعًا وعلمًا وصلاحًا، وطمِعتَ بمالها.. كانت لها القيادةُ عليك!

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴿٩﴾﴾

في القرآن توجيهاتٌ صحيَّةٌ، فالله عز وجل قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، هذه الآية تكفي.

﴿...وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾

من السعادة الدخولُ في هذا الوعد!

مثلًا، رجلٌ فقيرٌ إلى درجةٍ قُصوَى، دَخْلُهُ قليلٌ، عنده اثنا عشر ولدًا، بيتُه بالأُجرة، له عمٌّ غنيٌّ، ليس له أولاد، توفي العمُّ فترك ثروة عظيمة! هذه الأموال لهذا الفقير! وانتظر سنتين حتى استطاع أن يقبضها! سنتين بين وفاة عمه وقَبْضِه للمَبلغ، هذا الإنسان الفقير هل تغيرت حياته؟ لم تتغير، لماذا أصبح سعيدًا إذَنْ؟ لأنه دخل في الوعد والأمل.

وهكذا المؤمن في الدنيا، مهما ضاقت دُنياه فهو طامِع في الجنة، فلأنه دخل بالوعد من الله تعالى، أصبح سعيدًا.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

أي: إنَّ الذين لا يُصدِّقون بالمَعَاد إلى الله تعالى ولا يُقِرُّون في الدنيا بالثوابِ والعِقاب، فهُمْ لا يتحاشَونَ من ارتكابِ المعاصي؛ ولذلك أعَدَّ اللـهُ لهم عند وقوفهم أمامَ ربِّهم يومَ الحسـابِ عذابًـا أَليمًا، وهو عذابُ جهنم، إن هذه الآيةَ داخلةٌ في البشـارة السابقة، ولكنْ كيف يكون ذلك، والبشـارةُ السـابقةُ تبشِّـرُ المؤمنين بأنَّ لهم أجرًا كبيرًا؟ والبشـارة إخبارٌ بخيرٍ يأتي في المستقبل، فكيف تكون البشارة بالعذاب؟

قالوا: نَعم، هذه بشـارةٌ على سبيل التهكُّم والاستهزاء، كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤].

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

المقصودُ جنسُ الإنسـانِ، ينطلق الإنسـانُ، ويتحمَّس، ويُقبِلُ على الشـرِّ بحمـاسٍ وصِـدقٍ، كما لو كان الشـرُّ خيـرًا؛ لأن في الشـرِّ - كما يزْعُـمُ - مَغْنمًا سـريعًا، إن مِنَ النـاسِ مَنْ إذا رأَى بيتًا فخمًا تاقَتْ نفسُـه إليـه، ولـو كان تحصيلُهُ من حـرام، يُفضِّل هذا البيتَ فـي الدنيا العاجلةِ على جنةٍ عَرْضُها السـماواتُ والأَرضُ! وإذا عُـرِضَ عليه مَبلَغٌ كبيرٌ من طريقٍ غير مشروعٍ يُقْبِل عليه، ويأخذه.

﴿...وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

أي: يسـتعجل عـذابَ اللـهِ دونَ أنْ يعـرفَ حقيقـةَ هـذا العذابِ، والإنسـانُ مُعرَّضٌ فـي حياته إلى إغراءاتٍ كثيـرةٍ، كأنْ يقولَ له أحدُهم: دَعْكَ من هذا العمل فهو يسبِّب الفقرَ، تعالَ نعملْ معًا في هذه المصلحة، ولكنْ - في الحقيقة - هذه المصلحةُ فيها فسادٌ، وإفسادٌ لأخلاق الناس.

عليك أنْ تتنبه في جميع شـؤونك، لا تختَرْ شـيئًا يُغضِب اللهَ عز وجل، ولا تُؤْثِرِ الدنيا الفانيةَ على الآخرةِ الباقيةِ.

تأمَّلوا صفاتِ الإنسانِ في القرآن الكريم:

- ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.
- ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].
- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج:١٩].

لو دقَّقْنا في هذه الصفات، لوَجدْنا العَجَلةَ والضعفَ والهَلَعَ في مصلحة الإنسان؛ فلَو أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسانَ قويًّا لاستغنَى بقُوَّته، ولشَقِي باستغنائه.

كيف يربِّي الأبُ ابنَه إذا كان الابنُ مستغنيًا عن أبيه؟ فالضَّعفُ صفةٌ أَودَعها اللهُ في الإنسان لمصلحته، فهَلَعُ الإنسانِ يجعله يحتمي بربه.

أما لماذا خُلِق الإنسانُ عَجُولًا؟ لو كان الإنسانُ بوضعٍ آخرَ على نقيض العَجَلة، لو أنه يبحث عن المستقبل البعيد، لكان في تعلقه بالآخرة منسجِمًا مع طبيعته، ولما ارتقى بهذا التعلُّق، فإذا آثر الآخرة على العاجلة فقد خالف هوى نفسه، وخالف طبيعته، وبهذا يرقى عند الله تعالى، لقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

معرفة الله من خلال آياته الكونية

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ...﴿١٢﴾﴾

هذه الأرض، وهذه الشمس، لو أن الأرض ثابتة في مكانها لا تدور حول نفسها، لما كان ليل ولا نهار! ولكان نصفُها الأولُ نهارًا سرمديًّا، ونصفُها الآخرُ ليلًا سرمديًّا، ولكنَّ دورة الأرض حول نفسها أنتجت الليل والنهار؛ إذنْ: الليل والنهار آيتان دالَّتان على قدرة الله عز وجل، وعلى عَظَمَته وحكمته.

سنة الله في الليل أنه راحة وسكون وهدوء

الله سبحانه وتعالى جعل الليلَ مظلمًا كي ننام، وترتاح عضلاتُنا، وأعصابُنا، وأجهزتنا، وكي ننطلق في اليوم التالي إلى عملنا بنشاط واستعداد كافِيَيْن، فالليل يعيق الحركةَ لسيطرة الظلام عليه، وطبيعته ساكنة.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾

ألغَينا الحركةَ مع إلغاء الضياء، وألغينا الحركة مع الحاجة إلى النوم الضروريِّ للجسم؛ لاستئناف النشاط البدنيِّ والحركة.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾

لماذا النهار ضياء وإبصار؟

العلة الأولى: ابتغاء الرزق

النهار مُضيءٌ، كلُّ شيء تراه في النهار، وكل أصحاب الحِرَف، والنشاطات الأُخرَى، ينطلِقُون في النهار ليكسَبوا رِزقَهم، وكلُّ إنسان يعمل في النهار بشكل طبيعي فهو مُرتاح؛ فالشمسُ ضروريةٌ للجسم.

العلة الثانية: معرفة الأيام والسنين والحساب

قال تعالى: ﴿...وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴿١٢﴾﴾

فـي دورةِ الأرض حولَ نفسِـها آيةٌ لا يعرفها إلا مَـن عَقَلَهَا! وإذا لم تَـدُرْ فليس هناك ليلٌ ولا نهارٌ، ولا تتـمُّ حياتُنا؟ لكنَّ دورةَ الأرض حولَ نفسِـها جعلت فيها ليلًا ونهارًا، وأصبح في الزمن سـاعةٌ ويومٌ وأسـبوعٌ وشهرٌ وسنةٌ.

وكذلـك العبـاداتُ، أوقاتُ الصلـواتِ، الصيـامُ، الحـجُّ، البيوعُ، التأجيرُ....، كلُّ هذه تحتاج إلى حسـابات فلكيةٍ تحدِّد الساعاتِ والأيامَ والأسابيع والشهور والسنين.

﴿...وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

كلُّ شـيء تحتاجونه في أمـر دُنياكم ودِينكم فصَّلنـاه لكم تفصيلًا، أحـكامُ الزواج، وأحـكامُ الطلاق، وأحـكامُ البيع، وأحـكامُ الأجرةِ... وهذا مِن نعمةِ الله علينا، وكأن الله عز وجل أراد أن هذا الإنسان لو فكَّر في خلق السـماوات والأرض لعَرَفَ اللـهَ، وعندئذٍ يعرف لماذا هو على وجـه الأرض، ويعرف مهمَّته في الدنيا، ويدَعُ المعاصي والشَّـرَّ، ويفعل الخيراتِ.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ...﴿١٣﴾﴾

الطائرُ هنا كنايةٌ عن العمل! والعمل الذي تفعله اختيارًا يجب عليك أنْ تتحمَّـل تَبِعَتَه، عَمَلُك الطيِّبُ الذي تفعلُه باختيارك، وعملُك السـيِّئُ الذي تفعلُه باختيارِك، هذا العمل سـوف يُطَوِّقُ عُنُقَكَ، وهذه الآيةُ تؤكِّد

مبدأ المسؤولية، لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

﴿...وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾

كلُّ عملٍ تعمله مُسجَّل عليك، في كتاب تقرؤه بنفسك يومَ القيامة، وتشاهد ما كنت تعمل، وكأن الله عز وجل يقول لك:

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

خُذ الكتابَ، واقرأه، وحاسب نفسَك بما فيه

هذا الكلامُ تنبيهٌ لنا في الدنيا، لما سيكون عليه حالُنا عند الحساب في الآخرة.

فمثلًا، قد يدخل الموظفُ إلى مديره العام، شاكيًا له، يستدعي هذا المديرُ مسؤولَ شؤونِ الموظفين، ويقول له: اِئْتِني بمَلَفِّ فلان! يفتحه له، باليوم الفلاني تأخرتَ، وفي صحيفتك توبيخٌ مُسجَّل، وفي صحيفتك تقرير طبي غيرُ صحيح، فيُلْزِمُه بأعماله كلِّها، فإذا هذا الموظفُ ينكمِشُ، ويخجَل، هذا مَثَلٌ، ولله المثلُ الأعلَى. فعليك أن تحاسب نفسَك عن هذه الأعمال في الدنيا، قبل أن تحاسَب عليها في الآخرة.

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ...﴿١٥﴾﴾

بعد أنْ بيَّن اللهُ لك الطريقَ الصحيح، وأرشدك إليه، فالهُدَى بعد ذلك عائدٌ عليك، والضلال عائد عليك، فعليك الاختيار.

﴿...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...﴿١٥﴾﴾

هـذه الآية أصلٌ في أنَّ إنسـانًا لـن يُؤخَذَ بجَريرة إنسـانٍ آخرَ! وكلُّ إنسـانٍ يحاسَـبُ عن عملـه، ولا تحملُ نفـسٌ حِمْلَ نفـسٍ أُخرى، قال تعالـى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:١٠-١١].

لا امـرأةُ فرعـونَ تتحمل مـن أوزار فرعون شـيئًا، ولا سـيدنا نوح وسيدنا لوط يتحملان من أوزار نسائهما شيئًا، وهذا أصل في العدالة.

﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

الكـونُ وما فيه مـن آياتٍ دالٌّ على عَظَمَة اللـهِ عز وجل، وهو كافٍ ليضعـك أمامَ المسـؤولية! والفطرةُ السـليمةُ التـي فُطِرتَ عليهـا كافيةٌ لتُعرِّفك بربك وبمسؤوليَّتك، ولكنَّ رحمةَ الله عز وجل أَبَتْ أن يحاسِبَ إنسـانًا، أو أن يعذبه قبل أن يبلِّغه رسالته، معنى ذلك: أن الله عز وجل لا يدَعُ أهلَ الأرض دون هُداةٍ ودُعاة، ثم بعد ذلك على الإنسـان الاختيارُ، وهو مسؤولٌ عن قوله وعمله.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

المـراد بالقرية هنا سُـكَّانُها، وقد ذكر اللهُ القريةَ مكانَ أهلِها إشـارةً إلى أنَّ تدمير الله عز وجل لشـدته يصيب العباد والبلاد! والإهلاك لأنها فعلت مُوجِباتِ الإهلاك.

إنَّ المجتمعَ الذي يَفسُد ويُعصَى اللهُ فيه، يستحقُّ هلاكَهُ، ولكنَّ الله يبعث الرُّسُلَ، ليحذِّروا.

و (أَمَرْنا مُترَفِيها) أي: بالتوبة والاستقامة؛ لأنهم إذا استقاموا استقامَ الناسُ، والناس تتبَعُ أكابِرَ القومِ.

ومعنى: ﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾، أي: استحقَّت الهَلاكَ وَفْقَ السُّنَنِ الإلهية! و (القول) – هنا – هو الأمر بهلاكها.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾

اللهُ وَحْدَهُ يعلم حجمَ الذنوب التي يقترفها الناس، فالبيوت مغلقة الأبواب، ونحن لا نعلم ما فيها من المعاصي، ولا ما فيها من الطاعات، وقد أهلك الله الأقوامَ العاصِينَ من قَبْلُ، وهو قادرٌ على معاقبةِ مَنْ يفعلُ فِعْلَهم في أيِّ زمان ومكان.

فهذه الآية تشير إلى حلم الله سبحانه وتعالى، الذي يعلم كلَّ شيء، ومع ذلك يحلُمُ علينا سبحانه.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ ...١٨﴾

العاجلة هي الدنيا، ومَن أرادها أعطاه الله إيَّاها، فاختَرْ ما شئتَ.

﴿...عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ...١٨﴾

الله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا لمَن يطلبها، وفي الحديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ» [رواه الترمذي وابن ماجه]، خذها؛ فلا قيمة للدنيا عند الله.

(مـا نشـاء) أي: بالقَدْر الذي نشـاء، قد نُعطيه المالَ، ونسـلُبُه راحةَ البال، وقد نُعطيه راحةَ البال، ونسـلُبه المالَ، وقد نجعل زواجَه سـعيدًا، ولكنـه لا ينجب الأولاد، قد نجعل أولاده أبرارًا، ونسـلُبه شـيئًا آخر... بالقدر الذي يشاء الله تعالى، وَفْقَ حكمةٍ بالغة، أمَّا أنْ تؤتَى مِن الدنيا كلَّ شيءٍ، فهذا شِبهُ مستحيلٍ!

﴿...ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾

سـيبقَى مذمومًا من قِبَل نَفسِه، ومن قِبَل الناسِ، ومن قِبَل الحقِّ جلَّ وعلَا، وفي الآخرة يدخل إلى جهنَّم مَدْحُورًا، يدخل فيها قَسْـرًا، ليس له اختيارٌ.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ...﴿١٩﴾﴾

أوضَـحُ آيـةٍ في الاختيار هي هـذه الآيـة، أي: إذا أراد العبدُ الآخرةَ وآثَرَهـا على الدنيا، أعطاه اللهُ الدنيـا والآخرةَ، ومَن آثَرَ دُنياهُ على آخرته خَسِرهما معًا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

سـعيُكم للمسجد، هذا سعيٌ مشـكورٌ يبارك الله لكم فيه، من الذي يشكره؟ الله سبحانه وتعالى!!

غَضُّكَ البصرَ عن محارِم الله، بَنْدٌ من بُنود السـعي للآخرة، وأداؤك الصلـوات بإتقـان، بَنْدٌ من بنود السـعي للآخـرة، وإنفاقك مـن المال، وأداؤك الـزكاةَ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيـتِ، وتحرِّي الحلالِ، وكفالةُ

اليتيم، والإحسان إلى الخلق، وقراءة كتاب الله وفهمه، والإتقان في العمل، هذا كله من السعي للآخرة.

كلما ارْتَقَتْ مرتبةُ الإنسانِ في شُكرِه كان هذا باعثًا على الطمأنينة، فكيف لو كان اللهُ سبحانه وتعالى في عليائِهِ هو الذي يشكرك على هذا السعي؟ لو تلقَّى الموظفُ كلمةَ شكر من رئيسه بكتابٍ خَطِّيٍّ، فإنه يقرؤه عدَّةَ مراتٍ بسعادةٍ غامرة.

هذه الآيات الثلاثة من سورة الإسراء تبين وتؤكد أن الإنسان مخيَّر، وتبيِّن أن للإنسان كسبًا، وأن الله سبحانه وتعالى يملك الفعل.

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ ... ﴿٢٠﴾ ﴾

أرزاق الدنيا لجميع الخَلْق، ولكنْ بتفاوُت

اللـهُ عز وجل يعطي الدنيا لمن يطلبها، ولمن لا يطلبها، لكنْ بقدَر، فمَن كان يريد هذه الدنيا القصيرة المحدودة، المشحُونةَ بالمتاعب والهموم، فإن اللهَ يعطيه إياها ابتلاءً أو استدراجًا.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ» [رواه أحمد].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» [رواه الترمذي].

مَن آثر الدنيا، وأعرض عن الله عز وجل، فإنه يعيش حياة شقية، شقاءً نفسيًّا، لقوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]، أمَّا المؤمنُ الذي آثَرَ آخرتَهُ على دُنياه فقد ربحهما معًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

﴿...وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

إن عطاءَ اللهِ ليس ممنوعًا عن أحد، وهو - سبحانه - يعطي ما يريد، لكنَّ اللهَ جلّ وعلَا لا يُعامَل بالتمني، بل بالسعي. ثم يقول الله عز وجل:

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ...﴿٢١﴾﴾

الناس في الدنيا متفاوتون

في الدنيا لكلِّ إنسانٍ مكانةٌ، والصحَّةُ درجاتٌ، والشكلُ درجاتٌ، والقوة درجاتٌ، والمكانة الاجتماعية درجاتٌ، والذكاء درجاتٌ، والدَّخْل درجاتٌ... هذه مراتب الدنيا.

هذا التفضيل مؤقَّتٌ، فالفقير يموت، والغني يموت، والقوي يموت، والضعيف يموتُ، والذي يحمل أعلى الشهادات يموت، والذي لا يقرأ ولا يكتب يموت.

في الدنيا، هكذا تقتضي الحكمة، أن يكون الناس درجات، لكن هذه الدرجات مؤقتة، وقد يكون الفقير عند الله عز وجل أعظم مرتبةً من أعلى مرتبة في الأرض، ومن غني المال، ومن ذائع الصيت، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ (متفرِّق شعر الرأس) أَغْبَرَ

(عليه غبار)، ذِي طِمْرَيْنِ (ثوبين باليين)، لا يُؤْبَهُ لَهُ (لا يلتفت إليه)، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ (أي: حقق له ما أقسم لأجله)» [رواه الترمذي].

مراتب الناس في الآخرة:

قال تعالى: ﴿...وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

مراتب الآخرة أبدية

مراتب الآخرة لا تنتهي! ومراتب الدنيا تنتهي بالموت، اذهبوا إلى المقابر، تجدون على القبور إشارة إلى أن هذا كان طبيبًا! وأن هذا كان رئيسًا، وأن هذا كان من كبار القوم مثلًا... كل واحد له ترتيب، فالموت يضع حدًّا لهذه المراتب في الدنيا، وهذه المراتب شكلية، وقد تكون مكانتك في الدنيا على نقيض مرتبتك في الآخرة! فالبطولة أن تكون لك في الآخرة مرتبة عليَّة، وأن يكون لك عند الله مَقعدُ صِدْقٍ، وأن تشعر أن ربَّ البشر راضٍ عنك

لا تبحث عن مكانة عليَّة عند الناس؛ فإن الناس لا يقدِّمون ولا يؤخِّرون، فابحث عن مكانةٍ عند الله، وإذا أطعْتَ مخلوقًا وعصيت الخالق، فعليك أن تنتبه لذلك؛ فهو شديد الخطر.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرك سببٌ للعذاب النفسي، والتوحيد راحةٌ وطمأنينة.. أحد أكبر أسباب العذاب النفسي أن تجعل مع الله إلهًا آخر، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٣]، هذا هو التوحيد، وما

تعلمت العبيـدُ أفضلَ من التوحيد.. نهايةُ العلم التوحيدُ، لذا قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ...﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ معناها: أمر، وأوجب، وهذا القضاء ليس حُكمًا، بل هو قضاء أمرٍ.

العبادة لا تكون إلا لله وحده

لـو أن الله عز وجـل قال: قضى ربـك أن تعبده، فمعنـاه: أمرك أن تعبـده، ولكن: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هذا الأمر فيه قصر العبادة عليه، فلا معبـودَ بحقٍّ إلا الله، وهذه الآية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وهي فحوَى رسالات الأنبياء جميعًا.

روعةُ هذه الآية أنَّ الله جمع توحيدَ الربوبية بالإحسان إلى الوالدين، وما من عملٍ أعظم أو أجلَّ - بعد عبادة الله عز وجل - من البر للوالدين!

وشـيء آخَـرُ: أولُ مظهَـرٍ من مظاهر تربيـة اللهِ لك أنـه خلقك من والدين يعطِفان عليك، ويُحسنان إليك، ويجوعان لتشبع، ويقلقان لتنام، وحينمـا ترَى ابنًا مدلَّلًا، يحبه والداه، ويغدقـان عليه كل الإكرام، فاعلم علـم اليقين أن هذا الإكرام مـن عند الواحد الديان! ولـولا أنه أودع في قلب الوالدين هذه الرحمة، فمَنْ يربي ولدهم؟

وكما أنَّ الله عز وجل قرَنَ الإحسـانَ إلـى الوالدين بتوحيد عبادته، قرن شـكرَ اللهِ بشـكرهما! قال تعالى في آية أُخرَى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ

بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤].

ما من مخلوق على وجه الأرض يستحق الشكر بعد الله عز وجل كالوالدين.

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [رواه البخاري]. برُّ الوالدين مُقدَّم على الجهاد في سبيل الله! وهو بعدَ الصلاة.

شيء آخر: مِن برِّ الوالدين أن لا يتعرض الولدُ لسَبِّهما، كيف ذلك؟ هذا مستحيل، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» [رواه البخاري].

قال العلماء: إذا أَمَرَ الأبُ أو الأمُّ وجب على الابن تنفيذُ الأمر، ما لم يكن فيه معصيةٌ، أو ما لم يكن فوقَ المُستطاع، إذا كان الشيء مباحًا يصبح بأمرِ الأبِ والأمِّ مَندوبًا، فهذا من البِرِّ.

قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ.. قيلَ: مَنْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ» [رواه مسلم].

وشيءٌ آخر.. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ

أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ، أَدْنَاكَ» [رواه مسلم].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ذكر رسولُ الله ﷺ الكبائرَ، أو سُئل عن الكبائر فقال: «الشِّركُ باللهِ، وقَتْلُ النفسِ، وعُقوق الوالدين» [رواه البخاري].

مِن برِّ الوالدين أيضًا: أن يصِلَ الإنسانُ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يتوفَّى، عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَم، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا» [رواه أبو داود].

الوالدان فرصةٌ ذهبية، فيستغلُّ الابنُ حياةَ والديه في خدمتهما، وفي الإحسان إليهما، وفي طلب مرضاتهما من غير معصية، وإن كانا قد تُوفِّيا، فليَصِل أهلَ ودِّهما، وليعملْ من الصالحاتِ عملًا من أجْل أن تكون أعمالُه كلها في صحيفة أبيه وأمِّه، ومن أجل أن يكون لأبيه وأمِّه صدقةً جاريةً.

هناك آباءُ وأمهاتٌ لا يزالون في سِنِّ الشباب أو الكهولةِ، يتمتعون بصحة جيدة، ومكانة عالية، ومال وفير، هم يقدمون كلَّ الإحسان إلى أولادهم، المشكلة أعمقُ من ذلك؛ عندما يتجاوز الأبُ أو الأمُّ مرحلةَ الشيخوخة وتتراجع القوة الجسمية والعقلية، فمع طلباتهما الكثيرة، ومع إلحاحهما الشديد... انتبه لقوله تعالى:

﴿...إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ...﴿٢٣﴾﴾

لا أعتقد أن هناك أقلَّ من هذه الكلمة (أف)، تعبير عن الضجر، ومثلُها أنْ يخرِج الابنُ النَفَس بصوتٍ أمام والديه، أو أن يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله) بنبرة عالية، هذه ليست شهادة، هذه ضجر، قال بعضُ العلماء: لو صدر من الوالدين رائحةٌ كريهة، فوضع الابنُ ثوبَه على أنفه، فهذه من المعاصي، بل من الكبائر.

ولو أسمعهما الابن: (الله يخفف عنهما)، أو: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فهذه أصعَبُ من (أف).

رجُلٌ خدم أُمَّه تسعَ سنواتٍ، إلى أن ضجر، فاستدعَى إخوتَه، وقال: هذه أمي وأمُّكم، جاء دوركم الآن، خُذوها فقد قمتُ بما عليَّ، فأخذوها عنه، وماتت في اليوم الثاني! ضيَّع عليه ثواب تسع سنوات من الخدمة الشاقة!

﴿...وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

قال العلماء: من القول الكريم ألا تناديهما باسميهما! ولا بكنيتيهما، بل قل: يا أبي، يا والدي الكريم، يا أمّي يا حبيبتي... إلى ما هنالك.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

الطائر إذا جاءه صغارُه، فإنه يخفض جناحه ويرفرف على هؤلاء

الصغار بحنـان، فخفض الجناح يعنـي اللين في التعامـل، والمخالطة، والمعاشـرة، والرحمة، والقول الحسن، ولا تشعرهما أبدًا بأنهما ثقيلان عليك! بالإضافة إلى أنه يجب الدعاء لهما بالرحمة بعد موتهما، أي: أن تدعو لهما أن يكونا في الجنة.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ... ﴿٢٥﴾ ﴾

هـل تبتغون مرضاةَ اللـه عز وجل عن طريق بـر الوالدين؟ أو أنكم ترغبون بعقوقهما؟! إن حالتكم ضمائركم مكشوفةٌ عند الله عز وجل.

قد يستطيع المرء أنْ يخدع بعض الناسِ لبعض الوقت، أمَّا أنْ يخدع كلَّ الناس كلَّ الوقت فهذا من المستحيلات،

وهو أمام الله تعالى مكشـوفٌ، فلا يستطيع أن يخدع اللهَ عز وجل، لذلك قُلْ ما شئت.

وإذا بلغ الإنسـانُ هذه المرتبة، لم يعُـدْ يعلِّق على رضا الناسِ أملًا، ولا على غضبهم خوفًا؛ لأن الله عز وجل بيده كلُّ شيء. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَـنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ شَـيْءٍ حَقِيقَـةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَـةَ الإِيمَـانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَـا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَـهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» [رواه أحمد].

﴿ ... إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾

إنسـان صالح، أي: اعتقـاده صحيح، ونيته طيبـة، وعمله صحيح، وقولـه صحيح... صالـحٌ لماذا؟ صالح لعطاء اللـه تعالى، صالح للجنة التي عَرْضُها السماواتُ والأرضُ، وكلُّ هذا مُشتَقٌّ من الصلاح.

الأوَّابين جمع أوَّاب، والأوَّاب على وزن فعَّال، صيغة مبالغة لاسم الفاعل، أي: كثير الأَوبة إلى الله، فكلما زَلَّت قدمُهُ رجع بالتوبة والاستغفار والتضرُّع إلى الله، وكلما غفل عن ذكر الله عاد فذكر الله.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ... ﴿٢٦﴾ ﴾

مَن هم ذَوُو الْقُرْبَى؟ هم أقرباؤك، ومَن يلوذ بك، والأقربون فقرًا، و الأقربون إليك نسبًا أولى بالمعروف، والأقربون إلى الإيمان أولى بالمعروف، هذه قاعدة مطلقة، الأقربون أولى بالمعروف.

إذا أحبَّ اللهُ عبدًا جعل حوائج الناس إليه! فلا تضْجَر، ولا تقلق، ولا تتبرم، وإذا كَثُرَ الذين يَطرقون بابَك، فلا تتأفف، وإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لَلشَّرِّ، مِغْلاقًا لِلْخَيْرِ» [رواه ابن ماجه].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج:٢٤]، وهذه هي «الزكاة المفروضة»؛ لأنها حق حدَّدَه الشرعُ، بينما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٩]، وهذه هي «الصدقة».

﴿... وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ... ﴿٢٦﴾ ﴾

قد يكون ابنُ السبيل مُكتفيًا، وقد يكون غنيًّا، ولكنْ حلَّ به فقر طارئٌ، كان في سفرٍ، فأُخذتْ منه أموالُه سرقةً، أو ضاعت منه محفظةٌ

يحمل فيها أموالَه، ووثائقَه الرسمية، فهذا صار فقرًا طارئًا، وله حق عليك.

﴿...وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

التبذير يُشبِه إلقاءَ البِذارِ في الأرض، يمسك الفلاحُ قبضةً من البذار فيلقيها إلقاءً عشوائيًّا، وكذلك الذي ينفق المال دونَ حِكمةٍ وتبصُّر واعتدال ينفقه كيفما شاء، هذا اسمُه تبذيرٌ، وبعضهم فرَّق بين الإسراف والتبذير.

بعض العلماء قال: الإسراف أن تنفق في المباحات نفقة فوق الحد المعقول، كأنْ تحضرَ ألوانًا من الفاكهة كثيرة، فيفسد بعضُها، لكن الذي يلقي ماله في معصية الله فهذا هو المبذِّر.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ ...﴿٢٧﴾﴾

وكيف يُلقِي الشيطانُ في نفس الإنسان حُبَّ المعصيةِ؟ يدفعه إلى المعصية، ويوسوس له بها، وكذلك هذا المبذِّرُ، إنه بإنفاقه المالَ في معصية الله عز وجل كأنَّه قد تجاوز مرحلة وسوسة الشيطان، فكان بتصرفه هذا أخًا له.

﴿...وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يعاقب مَن عصاه يعاقبه عقوبةً من جنس الذنْب، فالمبذِّر في الأغلب يعاقَب بذهاب مالِه، وأنْ يذيقه اللهُ ألمَ الفقر والحرمان.

﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا ...﴿٢٨﴾﴾

(إمَّا) أصلها: (إنْ ما).. يعرض عمَّنْ؟ عن ذوي القربى والمساكين.

المعنى الأول: سبب الإعراض ضيقُ ذات اليد: أي تعرض عن إعطائهم، إمَّا لأنك فقير تبتغي رحمةَ الله، فربُّنا عز وجل كنَّى عن الفقر بأجمل كناية في القرآن، لأنك لا تملك حاجتهم، ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾.

المعنى الثاني: سبب الإعراض لحكمة ومصلحة: أي لأن الحكمة تقتضي ذلك، قد يطلب منك القريبُ مالًا ليفسق به، أو ليفعل به المنكرات، أو ليرتكب به المعاصي، أو قد يكون من السفهاء، فالحكمة تقتضي ألَّا تعطيَه هذا المال، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء:٥].

﴿...فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾﴾

العلماء فسَّروا (القول) - هنا - بالدُّعاء لهم، وبعضهم قال: قل لهم: أعطيكم في وقت آخر إن شاء الله.

إن الشِّدةَ والقسوةَ لا تُجديان أبدًا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى:١٠]، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» [متفق عليه]، وفي الحديث الآخر عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» [رواه مسلم].

ففـي كلِّ الأحـوال، القسـوة غيـرُ مرغوبٍ بها؛ فـلا تَنْهَـرْهُ بعصبية وصوت عـالٍ، ولا تقل له أنت كذَّاب، أنت محتـال، بل قل: وفقك الله لما تحب، لا أجد ما أعطيك، اعذرني... إلى ما هنالك.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ... ﴿٢٩﴾ ﴾

أنْ تكـون اليد مغلولةً إلى العنق فهذه كناية عن البخل والشُّـحِّ، قال تعالى في آية أُخـرى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

فالشُّـحُّ إذَنْ مرضٌ، ويحتاج صاحبه إلى معالجة، والبخيل مريض، لأنـه يعيش فقيـرًا ليموت غنيًّا، والشـحيح جعـل المالَ غايـةً، وهو في الأصل وسيلةٌ!

إنَّ الذين يُوصفُون بالشح على نوعين: بعضُهم ينفق الأموالَ الطائلة بلا حسـاب على شهواته، وعلى أولاده، فيقول: كلفتني هذه السفرة كذا من المال! ثم تدخل جمعيةٌ خيريَّةٌ إلى دكانه فيعطيها شيئًا يسيرًا!!

من صفـات المنافقين أنهم إذا أنفقوا المال أنفقوه إسـرافًا وتبذيرًا، وإذا أمْسكوه أمسكُوه شحًّا وتقتيرًا،

﴿...وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ... ﴿٢٩﴾ ﴾

إياكـم ومجاوزةَ الحدِّ في الإنفـاق، فإنك لو تعودت على مصروف كبير، وعلى مسـتوى معيشـي مرتفع جدًّا، ثم لسـبب ما انخفضَ دَخلُك ماذا تفعل؟

إن المؤمنَ المطبِّقَ لسنة النبي عليه الصلاة والسلام لو جاءته شدة فإنه يحتملها؟ لأنه قد عوَّد نفسه على عدم الترف والإسراف.. وعَوِّد مَن هم معك على أن يكون الطعامُ نفيسًا في يوم، وخشنًا في يوم آخر، على أن يكون مع الطعام فاكهة في يوم، ودون فاكهة في يوم آخر.

﴿...وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾

نتيجة الشُّحِّ أو الإسرافِ

لَوْ أنَّك جعلتَ يدكَ مغلولةً إلى عُنقِك لكنت ملومًا من قِبَل الأهل، وأهلُ البخيل يتمنَّون - غالبًا - مَوتَه، حتى يرتاحوا منه، فهو مَلُومٌ من قِبَل زوجته وأولاده، وإذا بسطتها كلَّ البسطِ تقعُدُ مَحسورًا، لا تمتلك شيئًا، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

الحكمةُ هي أَثمنُ شيء في الحياة! بالحكمة يغتني الفقيرُ، وبالحُمقِ يفتقر الغنيُّ.. بالحكمة تعيش مع الزوجة السيئةِ وتَسعَدُ بها، وبالحمق تُفسِد الطيبةَ.

﴿...إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

الله أَعلمُ بما يَصلُح للعبد من الفَقرِ أو الغِنَى

إنَّ مِن عبادِ الله مَن لا يَصلُح له إلا الفقرُ، فإذا غَنيَ فَسَدَ عليه دينُه، فتراه يريد السفر للسياحة، ويريد الزواجَ من امرأة ثانية...، وإنَّ مِن عباده مَنْ لا يَصلُح له إلا الغِنَى، ليتصدَّق ويَعْمُرَ الأرضَ...، فإذا افتَقَرَ فَسَدَ عليه دينُه، الله العالمُ بجميع أحوالِ وأفعالِ عبادِه.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

مِن أعمال الجاهلية الأولى:

قتْلُ الأولاد خشيةَ الفقر

الإنسانُ بُنْيانُ الله، وملعونٌ مَن هدَمَ بنيانَ الله لأيِّ سبب، وهنا السببُ خشيةُ الإملاقِ (الفقرِ)، لا يجوز أن تقتل النفسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ..

لقد كان العربُ في سنواتِ الشُّحِّ وسنواتِ القَحطِ يقتلون أولادَهم خشيةَ الفقر، وقد ينصرِفُ ذهنُكم إلى الوأد! هذه الآيةُ لا علاقة لها بالوأد، فالوأد قتلُ البناتِ على التخصيص خشيةَ العار لا الفقرِ.

بعضُهم فَسَّر قتل الأولاد بالذي يأتيه الولدُ ثمَّ يطلِقُ له العَنانَ ليذهب حيث شاء، ويفعل ما يشاء، ويفسد كيف شاء، وهذا - عند الله - أشدُّ من وأدِ البِنت؛ لأنك لو وَأَدْت البنتَ دخلتِ الجنةَ، ولكنك إذا أفسدت ولدك أدخلْتَه النارَ.

بَيْنَ القتلِ للفقر، والقتل خشيةَ الفقر:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ...﴿٣١﴾ ﴾

هذه الآية خشيةَ فَقرٍ مُتوقَّع، وهناك آية أُخرى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الأنعام:١٥١]، وهذه للخشية من إملاقٍ لفقرٍ حاضر.

﴿...نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ ...﴿٣١﴾﴾

الـذي يقتـل ولده خشـيةَ الإملاقِ خائـفٌ على رزقـه!! رزقُ ابنك سيأتيك مع رزقك.

﴿...إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾﴾

ما هو الخطأ؟

مَـن عمل عملًا حسُـنت فيه نيتُه، وسـاء فِعلُه فهذا هـو «الخطأ غير المقصود»، ومن عمل عملًا ساءت فيه نيته وساء فعله، فهذا هو «الخطأ» بعينه.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾

بعضُ العلماء اسـتنبط من كَوْنِ آيةِ النهيِ عـن الزِّنى بين آيتَي النهي عـن القتل أن الزِّنَى نـوعٌ من أنواع القتل، ولكن هـذا القتل قتلٌ معنويٌّ، وليس قتلًا ماديًّا، فهـذه المرأةُ التي تقع في الزِّنى كأنك قتلتها فأخرجتها من إنسـانيَّتها، وأبعَدْتَها عن مهمتها المُقَدَّسـة، وعن الوظيفة العليا التي خُلقـتْ من أجلِها، وعن أن تقوم بدورها الطبيعي الإنسـاني، فالقتل إذنْ نوعان: قتل النفس قتلًا ماديًّا، وقتلها قتلًا معنويًّا.

ليس النهيُ - في هذه الآيـة - عن ارتكاب الزِّنَى! بل عن الاقتراب مـن الزِّنَى، فأيُّ شـيء يقرِّبُك إلى الزنَى أنت مَنْهِـيٌّ عنه بنصِّ هذه الآية، فالنظر إلى النسـاء خُطوةٌ أُولَـى نحو الزِّنَى، والحديـثُ معهُنَّ حديثًا فيه لِينٌ ومُلاطَفةٌ خطوة إلى الزِّنى، ومُجالَسةُ أهلِ الزنى والاختلاط، وقراءة

الأدبِ الرخيص... كلُّها خطوةٌ إلى الزِّنى، وربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴿٣٣﴾ ﴾

المعنى الأول: خَلق اللهُ عز وجل الإنسانَ وكرَّمهُ، وسَخَّر الكونَ كلَّه من أجلِه، فالمعنى: ولا تقتلوا النفسَ الإنسانية التي حرم اللهُ قَتْلَها، ولا يزالُ المسلمُ بخيرٍ ما لم يَسفِكْ دَمًا!

معنى آخر: أيُّ نفسٍ خلقها اللهُ عز وجل وحرَّم قتلَها لا ينبغي لكَ أنْ تقتلَها، فهناك حشراتٌ مكانُها الطبيعي تحت الأرض، إذا تتبعتها إلى مكامنها وبيوتها وقتلتها وقعت في الإثم! أما إذا خرجتْ عن حدودها فقد أصبحت مؤذية للإنسان فعندئذٍ تقتلها.

﴿ ... وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ... ﴿٣٣﴾ ﴾

الوليُّ هو القريبُ الذَّكَر للمقتول، وهو الذي له أن يطالِبَ بدمه، والسلطانُ: الحُجَّة.

والمعنى: جعلْنا للوليِّ سلطة في أن يقتَصَّ من القاتل، ولكنْ عن طريق الحاكم، وهذا الحدُّ لا يمكن أن يقام إلا عن طريق الحاكم، لئلَّا تقع الفوضَى.

﴿ ... فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ... ﴿٣٣﴾ ﴾

العلماءُ فسَّروا الإسرافَ في القتل: ألَّا تقتُلَ غيرَ القاتل، أمَّا مفهوم الثأر القائم على قتل أيِّ أحد من جهة القاتل فهي عادة جاهلية ما بعدها

جاهلية، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر:١٨]، أي: لا يحمل أحدٌ جريمةَ أحدٍ آخَرَ، ما لم يكن له يدٌ فيها.

وقيل: معنى عدم الإسراف في القتل: ألا تقتل اثنين بواحد! بل واحدًا بواحد، القاتل نفسه، أمَّا أنْ تقتل مجموعةً كبيرة فلا، إلا إذا تواطؤوا على القتل.

المعنى الثالث: ألَّا تمثِّل بالقاتل عند تنفيذ الحدِّ، فالتمثيل (العبث بالجثة) ليس من صفات المؤمن

﴿...إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

أي: إن وليَّ المقتول هو المنصور على القاتل، بأخذ الحقَّ عن طريق الحاكم، وإن شاء عفا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ...﴿٣٤﴾﴾

يجب أن تُبقِي بين مالك ومال اليتيم هامشًا، وأن تكون دقيقًا جدًّا، فهذا المال أنت محاسَبٌ عليه أشدَّ الحساب، ولذلك بَيَّنَ العلماءُ أن الوَصِيَّ على مال اليتامَى إن كان غنيًّا فيجب عليه أن يستعفِفَ، ومعنى أن يستعفف: ألَّا يأخذَ على إدارة الأموال شيئًا، وإن كان فقيرًا فليأخذ بالمعروف.

وإذا بلغ اليتيمُ سنَّ الرُّشدِ والحكمة والقدرة على إدارة أمواله (قدَّرته القوانين الوضعية بثمانية عشر عامًا)، دفعنا إليه أمواله.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

عهـدك مع الله، وعهدك مـع النبي ﷺ، وعهدك مـع أخيك، وعقد البيـع، وعقد الأجرة، وأيُّ عقدٍ توَقِّعُهُ مع أخيك المسـلم وغير المسـلم - فيمـا لا يتنافَى مع كلام الله، وفيما لا يخالف شـرع الله -، هذا العهد أنت مأمور أن تفي به، وسيسـألك الله سـبحانه وتعالى عن هذا العهد لِم ضيعته؟ وإذا انعدمت الأمانة انعدم الإيمان.

﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ ... ﴿٣٥﴾ ﴾

إذا كانـت البضاعةُ تُبـاعُ كيلًا أو وزنًـا أو بطُرُقٍ أُخـرى، فعليك أن تؤديهـا بأمانـة، قـال تعالـى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [المطففين:١-٥].

﴿ ... وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ... ﴿٣٥﴾ ﴾

إذا وَزَنْتَ بالقسطاس المستقيم (القسطاس هو الميزان)، وإذا وفيتَ الكيلَ، فهذا خيرٌ، وخالق الكون يقول:

﴿ ... ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ ﴾

والتأويـل - هنا - من المآل، وهو العاقبة، مَن عاش تقيًّا عاش قويًّا، هـذه العيـن التي تغُضُّ عن محـارم الله، اللهُ سـبحانه وتعالـى يحفظها لك، وهذه اليد التي تسـتخدمها في فعل الخيرات، الله سـبحانه وتعالى يحفظهـا لك، وهـذه الأذن التي ما سـمعت إلا الحق يحفظهـا الله لك سـبحانه وتعالـى... مَن منَّـا لا يتمنـى أن يعيش في خريف عمـره حياةً ملؤها السـلامة والسـرور والطمأنينة والعزة والكرامة والشـعور برضاء الله؟! هذه الأمور سببُها طاعةُ الله عز وجل.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

معناها: لا تقُلْ سمعتُ، وأنت لم تسمع، ولا تقلْ: رأيتُ، وأنت لم تَرَ... والعلمُ هنا هو «اليقين»، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٥].

﴿...ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ...﴿٣٦﴾﴾

الفؤاد هو القلب والعقل معًا، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ﴾ [الحج:٤٦]، القلب بهذا المعنى هو مكان العلم اليقيني، مكان الإيمان.

وقال بعضهم في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾، أي: لا تعتقد شيئًا إلا بعد اليقين، ولا تقل شيئًا إلا بعد العلم، ولا تفعل شيئًا إلا بعد العلم، وهذا هو الفرق بين الطائش والجاهل، حيث يصدر الثاني حكمًا خاطئًا.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ...﴿٣٧﴾﴾

هذه الدنيا دارُ ابتلاءٍ، لا دار استواءٍ، فجُعِلَ بلاءُ الدنيا لعطاء الآخرةِ سببًا، وجُعِلَ عطاءُ الآخرة من بَلْوَى الدنيا عِوضًا، فالله تعالى يأخُذُ ليعطِي، ويبتلي ليَجزِي.

هذا الذي يفرح في الدنيا تكبُّرًا ولهوًا، لا خَلَاقَ (الحظُّ والنصيب من الخير) له عند الله.

اِفـرحْ بمرضاةِ الله عز وجـل، وافرح بطاعته، وافـرح بعملٍ صالح قـدَّره اللهُ على يديـك، ولا تمشِ في الأرضِ متفاخرًا أو فيك شـيء من كِبْر؛ فإنك لن تستطيع بقَدَمِك أنْ تَخْرِق وتَنْقُبَ الأرضَ.

﴿...وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾

أي: بفخرك وكِبرك، لن تسـتطيع أن تبلـغ مَبْلَغ الجبال في طولك ، وهذا نهيٌ من الله لعباده عن التكبّر والمفاخرة.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

إذا أردتَ أنْ يحبَّـك اللـهُ فابتعِـدْ عن هـذا كلِّه؛ لأن اللـهَ يكره هذه الأعمال. فَاتَّقِ موافقتها والعملَ بها.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

أي: هـذا الذي بيَّنّاه لـك – يا محمد – من الحكمـة التي أوصيناك بها في كتابنا هذا (القرآن)، ولا تجعَلْ مع اللهِ شـريكًا في عبادته؛ فتُلقَى في جهنم تلومُ نفسَك، ويَلومُك الناسُ، ومَدحورًا أي: مطرودًا مُبعَدًا في النار، وهذا الخطاب مُوجَّه إلى كل المؤمنين.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

الاسـتفهامُ فـي هذه الآية إنـكارِيٌّ، أي: ينكِر على المشـركين هذه المقولة وهذا الاعتقاد.

إن المشـركين يزعُمون أن اللهَ سبحانه وتعالى اتَّخذَ الملائكةَ بناتٍ له – حاشاه –! وهم لهم الذكور، فيزعمون لله ما يكرهون لأنفسهم!

﴿... إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

وكيف هـذا القول العظيم؟ إنك إذا وصفـتَ اللهَ عز وجل بوصفٍ لا يليق به فقد جعلت مَن يسـمعكَ ينفِرُ من مَـولاه، ويبتعِدُ عنه، وأعظم جريمة تقترفها: أن تبعِدَ الناسَ عن الله عز وجل! وأعظم عمل تفعله في الدنيا أن تقرب الناس من الله عز وجل!

إذَنْ، فالمقصـود ألَّا تتعدَّى على الله بالكـذب، لا تقل: إن الله كذا وكذا، وأنت لا تعلم ذلك.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

يخاطـب الله عز وجل في هـذه الآية كفارَ قريـشٍ، وانتقلتْ صيغةُ الكلام من المخاطبة إلى الغَيبة، قال علماء البلاغة: هذا اسمه (التفاتٌ).

فما معنى صَرَّفنا؟

المعنـى الأولُ: صرَّفَ الشـيءَ بمعنى قَلَّبَهُ، واللـهُ عز وجلَّ نوَّع في هـذا القرآن الكريم ألـوان الخطاب، فجعـل التقرير، وجعـل التصوير، وجعـل القصـة، وجعل المَثَـلَ، وجعل الوعـد والوعيـد، وجعل الأمر والنهي، وجعـل التخويف والتبشـير، وجعل الإنـذار، وجعل الأخبار، وتعداد النعم وتعداد النقم...

المعنى الثاني: أن هذا القرآن الكريم نزل مُنجَّمًا، أي: على دفعات،

ولو أنه نزل دفعة واحدة لثَقُل على الإنسان.

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بمعنى ليتدبَّروا، ومعنى التدبُّر أن تدرك المعنى.

﴿...وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾، لماذا؟ لأن أهل الشرك، وأهل النفاق، وأهل الأهواء، هؤلاء شهواتهم غالية عليهم، هؤلاء اتخذوا إلههم هواهم، فإذا جاءهم القرآنُ زادهم نُفورًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

العرب في الجاهلية كانت تعبد أصنامًا من دون الله، وتَزعُم أنَّ هذه الأصنام تقرِّبها إلى الله، فالله سبحانه وتعالى يقول: هذه الآلهة التي تزعمون أنها تشاركني في الألوهية، فإنها تعبدني أيضًا، إذَنْ، فهي ليست آلهة، هذا هو المعنى الأول.

المعنى الثاني: لو كانوا فعلًا آلهةً، لكانوا أرادوا أن يصلوا إلى ذي العرش ليَحُلُّوا مَحَلَّه، وينازعوه هذا العرش.

المَركب له رُبَّان واحد، والطائرة لها رُبَّان واحد، وأيُّ عمل لا بد له من قائد.

إذَنْ، لا المعنَى الأولُ وقع، ولا المعنى الثاني، العملية كلها افتراضية، لكنها مناقشة علمية لهؤلاء الذين يزعمون أن مع الله آلهة أُخرَى.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

كلمة (سبحان الله) تنزيه لذات الله تعالى عما لا يليق به ممَّا زعم

هؤلاء المشركين، وكلما سمعت عن الله شيئًا لا يليق به فقل: سبحان الله، هو أعظم، وأرفع، وأجلّ، وأعظم من أن يكون كذلك، هذا هو (التسبيح).

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ...٤٤﴾

السماوات والأرض تسبِّحُ، ولكنْ بلسان حالها، لا كتسبيحنا نحن البشر، ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ من الملائكة والإنس والجن.

الكافر مَوقفُه يومَ القيامة موقفُ الخِزْي والعار؛ فكل الخلائق تسبح الله لا تفتُرُ عن تسبيحه، والإنسان الذي خُلق الكونُ من أجله غافلٌ عن ذكر الله عز وجل.

فلذلك قال تعالى: ﴿...وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾

(إنْ) حرفُ نفيٍ، و (مِنْ) لاستغراق كل شيء، فكلُّ الخلائق تسبِّحُ بلغة لا تعرفونها.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾

أي: إنَّ هذا القرآن الكريم لا يستطيع أن يصل إلى معانيه إلا مَن كان طاهرَ القلبِ من الشرك والنفاق؛ لأن الإنسان إذا تلبس بالمعصية كان عن القرآن في عمًى.

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٦﴾

اللـه عز وجل إذا رأى من العبد رجوعًـا إليه، وتوبةً وإخلاصًا، فتح قلبَهُ لذِكْره، وشـرح اللهُ صدرَه للإسلام، أما إذا رأى في قلبه شهوة، وفي سلوكه نفاقًا، وفي عمله رياءً، والدنيا أكبرَ همِّه، كان بعيدًا عن فهم كتاب اللهِ بُعْدَ الأرض عن السماء، فالأصل أن تكون طالب حق، وعندئذٍ ينفتح قلبُـك لهذه المعانـي التي أنزلها الله عـز وجل، أما المنافقـون والكفار والمعرضـون عن تعاليم اللـه، فإن الله تعالى يقـول عنهم: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ...﴿٤٦﴾﴾، فكأن على القلب غطاءً وسدًّا.

﴿...وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴿٤٦﴾﴾

إذا ذكرتَ اللهَ وعَزوْتَ إلى الله جميعَ الأمور، فقلت: لا إله إلا الله، ولا مُعِـزَّ إلا الله، ولا مُذِلَّ إلا الله، ولا معطي إلا الله، ولا مانع إلا الله، بيـده الخلق والأمر، إليه يُرجَع الأمرُ كلُّه... إذا فعلت ذلك، ﴿...وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴿٤٦﴾﴾، أي سارع هؤلاء المشركون في الهرب.

أما إذا أشـركت، وقلت: زيـد وعبيد، وفلان وعـلان، بيدهم هذا، وهذه تحل عند هذا، وهذه مفتاحها هذا، إذَنْ بدأ كلامُ الشرك ينساب من شفتيك، وتجمع الناسُ حولَك، وأصغَوا إليك، وتعاطفوا معك!

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

الله سـبحانه وتعالى يعلم ما يجري في ندوات هؤلاء المشـركين، وفي خلواتهم، ولقاءاتهم، وسهراتهم، ونزهاتهم، فإذا جاء ذِكْرُ المؤمنين وذِكْرُ النبيِّ الكريم عليه الصلاة والسلام يقولون: هذا رجل مسحور تأتيه الشياطين، ويهذي، ويقول كلامًا غير معقول.

أحيانًا يكون للإنسان أقرباءُ من أهل الدنيا، رأوه مستقيمًا ورعًا حريصًا على دينه يقول: هذه حرام وهذه لا تجوز، وإني أخاف الله رب العالمين، فقد يسخرون منه، وقد ينعتونه ببعض النعوت، بالجمود، والتزمت، وأنه لا يعرف الحياة، وأنه جاهل، فليفرح هذا الإنسان بهذه التهم، فهذه أوسمة شرف! ولا تسمع لإرضائهم، فإرضاؤهم لا يجدي.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

ضربوا مثلًا بالعظام حينما تناول أحد المشركين عظمًا، وفتّته، ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨]، أتزعم بأننا سنحيا بعد أن نصبح مثل هذا؟! فقال الله تعالى لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم: قل له: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩].

أما في هذه السورة، فقد أردف سبحانه في قوله: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَينْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾، لو أنكم حجارة أو ذوو قوة كالجبال، سوف تعودون مرة أخرى إلى ما كنتم عليه، أي إلى التراب أولًا.

ومعنى: يُنْغِضُون: يهزُّون رؤوسَهم استهزاءً.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

عند البعث والنشور، يظن المشركون أنهم مكثوا في الدنيا وفي القبور قليلًا من الزمن؛ لأن الإنسان لو مكث آلاف السنين في الدنيا

والبـرزخ، عدَّ ذلك قليلًا قياسًـا لمدة يوم القيامة والحشـر والحسـاب، بسبب شركهم وإصرارهم على الكفر في حياتهم في الدنيا.

القول الأحسن:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴿٥٣﴾ ﴾

أيُّ شـيء سـاقه اللهُ لـك في الدنيـا حينما تُكشَـف لـك الحقيقةُ، ويكشف الغطاءُ، تقول: الحمد لله، لا تملك إلا هذه الكلمة؛ لأن حكمة الله عز وجل ورحمتَهُ مُطلَقَةٌ، وعدلَهُ وكمالَهُ مُطلَق!

إذا دخل إنسـانٌ غرفـةَ العمليـات، وبقي خمسَ سـاعات، ثم رأى الحصاة الكبيـرة التي انتُزِعَت من كليته، والعمليـةُ نجحت رغمَ الآلام، ورغـم المتاعب والمخدر، فلا يملك إلا أن يقول للطبيب: لك الشـكر، والإنسـانُ يوم القيامة حينما يرى الحقيقة لا يملك إلا هذه الكلمة، أي: الحمد لله.

حيثمـا وردتْ كلمةُ (عباد) مُضافةً إلـى الله عز وجل فهذه الإضافةُ إضافةُ تشريفٍ! فالله سبحانه وتعالى شرَّفَنا حينما أضافنا إليه.

والعلماء في تفسير هذه الآية قد ذهبوا مذاهب شتَّى:

المعنـى الأول: قل لهم أن يقولوا كلمةَ التوحيـد، ليقولوا الحق إذا تحدثوا، ولئلَّا يتحدثوا بالباطل، قل كلمةَ التوحيد ولا تخشَ في الله لومةَ لائم، اعلمْ أنه لا مُسـيِّر في الكون إلا الله، لا معطي ولا مانع إلا الله، لا رافع ولا خافض إلا الله، لا معزّ ولا مذلّ إلا الله، قل التي هي أحسـن، حَسَـنٌ أن تقول: إن الطبيـب الفلاني هو الذي داوَى ابني، أما الأحسـن

فأنْ تقول: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي ألهم الطبيب تشخيص الداء، وألهمه الدواء الناجع، فوفق الطبيب إلى معالجة ابني وشفائه، هذا هو الأحسن.

المعنى الثاني: في المناقشة لا تقل كلامًا قاسيًا؛ إذ ليس الهدف أن تنتصر على هذا الشخص الذ ي يناقشك، بل الهدف أن تأخذ بيده.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ بيت فِي وَسَطِ الجنة» [رواه ابن ماجه]، والمراء هو الجدال بغرض تحقير الغير.

إن الكلمة القاسية تُوقِع بين الناس، إنها تزيد خصمَك تشنُّجًا، تزيده تمسُّكًا بباطله، تحمله على أن يعاديك، تحمله على أن يفكر في إيذائك؛ لذلك قل التي هي أحسن.

كم من طلاق، وكم من تشريد أطفال، وكم من خراب أسرة سببها كلمة قاسية من الزوج، أو كلمة قاسية من الزوجة، وكم من شركة فيها الخير والرزق الوفير انحلَّت لأجل كلمة نابية قالها شريك لشريكه، وكم من مشروع كان يُرجَى له النجاح تراجع وتقهقر لكلمة قاسية قالها أحد القائمين عليه... ابحث عن الكلمة الأحسن.

المعنى الثالث: قل الكلمةَ الأحسن في أية علاقة مع الآخرين، إذا كنت تضبط أمرًا وتدير دائرة أو مدرسة أو شركة أو معملًا، في علاقتك مع من هم دونَك، مع من هم فوقك، قل الكلمة الأحسن، فقد يكون من يعمل معك مخلِصًا، وقد يبذل كل جهده، فإذا سمع منك كلمةً قاسية فقد حطَّمْته!

﴿...إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ...﴿٥٣﴾﴾

يَنْزَغُ أي: يُفسِد ويسعى للوقيعة بين عدة أطراف، وقد تكون عن طريق الإغراء أو الوسوسة، متى يستطيع الشيطان أن ينزغ بينهم؟ إذا أحدُهم قال هذه الكلمة القاسية.

الشيطان يتمنَّى أن يفسد العلاقات ويفرِّق بين الأخَوَين، والشريكين، والزوجين، وبين الأب وابنه، بين الأم وابنتها... لذلك فالبعيد عن الله عز وجل يُدْفَعُ من الشيطان، فينطق بالكلمة القاسية الجافية، فيأتي الشيطان من الطرف الثاني! انظر ماذا قال لك ابنك! أهذا ابن؟ فيطرده، فيلتجئ هذا الابن إلى رفقاء السوء، فتفسد أخلاقه، ويقع في بعض الجرائم، وقد يُحكَم عليه بالإعدام، أساس هذه المشكلات كلها أن الابن - بوسوسة من الشيطان - تفوَّه بكلمة قاسية مع الأب، فطرده الأبُ فتَسلَّمه الأشرارُ.

﴿...إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾﴾

ليست عداوةُ الشيطانِ خافيةً على الإنسان، ليست عداوتُهُ ظنِّيَّةً، عداوته بَيِّنَة واضحة.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ...﴿٥٤﴾﴾

الرحمة نوعان: رحمة مادية، ورحمة معنوية، فالرحمة المادية أن تكون مرتاحًا في صحتك، أن تجد الطعام الذي يسدُّ جوعتك، والماءَ الذي يروي ظمأك، والمأوى الذي يُؤوِيك، أن تجد الزوجة التي تسكن إليها، أن تجد أبناءك وبناتك بارين مهذّبين ملتزمين، أن يكون جارك لطيفًا، هذه كلها رحمات من الرّب العزيز، والرحمة المعنوية هي كل

شيء ترتاح له نفسيًّا، كأن يتجلى الله على قلبك ويقذف فيه النور، هذه رحمة معنوية، روحية، نفسية لا يعرفها إلا مَن ذاقها!

الرحمة المادية قد يشترك فيها الناس جميعًا، المؤمنُ وغيرُه، ولكن الرحمة الروحية خاصة بالمؤمن.

وعلى كلٍّ فهناك علم إلهي يحدد مقدارَ هذه الرحمة، والدليل قولُه تعالى:

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ... ﴿٥٤﴾ ﴾

(أعلم) اسم تفضيل، ليس في الأرض أحدٌ يعلَم حقيقةَ الإنسانِ كعِلمِ اللهِ عز وجل، وهو أعلم بكم، يرحمكم في الدنيا لعلمه بكم.

﴿ ... إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ ... ﴿٥٤﴾ ﴾

كلُّ شيء يخالف طبيعةَ الجسم، أو طبيعةَ النفْس، هو عذابٌ، لو أنَّ جهازًا من أجهزتك البدنية تعطّل لكان هذا عذابًا لا يُطاق، والأمراض الجسمية، والهموم، والأحزان، وضيقُ ذات اليد، ونقص الثمرات والأولاد... أنواع العذاب لا تُعَدُّ ولا تحصَى، ومقدار رحمته وعذابه مبنيَّان على عِلم اللهِ بكم؛ لذلك قال بعض العلماء: هناك مصيبة «قصم»، وهذه للكفار والمشركين، وهناك مصيبة «ردع»، وهناك مصيبة «دفع»، وهناك مصيبة «رفع»، وهناك مصيبة «كسب»، وهذه للمؤمنين على اختلاف درجاتهم.

﴿...وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾

لستَ مكلفًا أن تحملهم بالجبر والقهر على الإيمان، ولست وكيلًا عليهم، أنت رسولٌ ومُبلِّغ.. وهم مخيَّرون، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، وفي آية أُخرى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢].

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ...٥٥﴾

عِلمُ اللهِ عز وجل لا يستطيع مخلوقٌ أن يحيط به، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم المُصطَفَون من عند الله دون سائر الخلق، وهذه المرتبة تعني عدم الانقطاع عن الله، ومع ذلك فالله عز وجل فضَّل بعضَهم على بعضٍ، لعِلمِه غيرِ المُتناهِي بهم.

﴿...وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾

أي: أنزلْنا على نبيِّنا داودَ كتابًا يُتْلَى، ومُحتَواهُ هو دعاءٌ وتمجيدٌ وتحميد، وهو «الزَّبُور»، وكما آتينا داودَ الزبورَ فلا تُنكِرُوا أن يُؤتَى محمدٌ (عليه الصلاة والسلام) «القرآنَ».

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾

هذه دعوةٌ إلى التوحيد، اللهُ سبحانه وتعالى وَحْدَهُ الذي يملك

كشـفَ الضُّرِّ وتحويلَه إلى غيركم، لكنَّ الذين يَدْعُون من دونه - أصنامًا أو أشـخاصًا - لا يملكون كشـفَ الضُّرِّ عنكـم ولا تحويلَهُ، فـإذا اتَّخذَ الإنسانُ من دون الله أحدًا فقد غامر بسعادته في الدنيا والآخرة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ... ﴿٥٧﴾ ﴾

«الوسيلة» لها مَعانٍ واسعةٌ، منها: الشيء أو الطريق الذي يقرِّبك من الهَدف، قد يتوسل الإنسانُ إلى الله بطاعته، فتكون الطاعةُ وسيلةً.

كلما اشـتدَّ قُربُ الإنسـانِ مـن الله اشـتدَّ إقباله عليـه، وابتغى إليه الوسيلة.

إذَنْ، العملُ الصالحُ وسيلةٌ، وهو ثمنُ اللقاء بالله تعالى في الآخرة، والاسـتقامةُ طريقٌ إلى الله عز وجل، وما أكثر الطرق إلى الله عز وجل؛ لذا فالإنسان لا يَعْدِمُ وسيلةً يصل بها إلى الله عز وجل.

تضـعُ اللقمةَ فـي فم زوجتك، هي لـك صدقة! وتُمِيـطُ الأذَى عن الطريـق، هي لك صدقة! وتَلقَـى أخاك بوجه طَلْقٍ، هـو لك صدقة! ... الخلقُ كلُّهـم عِيالُ الله، وأَحبُّهم إلى الله أَنفعُهم لعياله، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، أَحسِـنْ في كلِّ شـيء، يرحمْكَ اللهُ عز وجل، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى» [رواه ابن ماجه].

﴿...وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾

المؤمنون يطيعون اللهَ ويخافون عذابه، فهو مُنَوَّعٌ جدًّا! وقريبٌ جدًّا من العباد، نقطةٌ من الدمِ لا تزيدُ على رأس دبوس، لو تجمَّدتْ في أحدِ شرايين المخِّ لأُصيب الإنسانُ بالشلل! وهناك مكان آخر لو حصل فيه ذلك لأصيب بالعمى! أو لأصيب بالصمم! أو لفقد ذاكرته!...

هذا الذي لا يخشَى اللهَ ولا يحذره ضعيفُ التفكير، محدودُ الأُفُق؛ لذلك رأسُ الحكمة: «مخافةُ الله».

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾

(إن) – هنا – معناها (ما)، حرف نفي، فما من قرية (أو مدينة) إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة، أو معذِّبوها عذابًا شديدًا، فإنْ كانت هذه القرية تقيم شرعَ الله، وتقيم أمر الله، وهي مُحسِنةٌ فلا بد من أن تنتهي قبل يوم القيامة! فكُلُّ مَن عليها فَانٍ، كل شيء هالكٌ إلا وجهَهُ، لن تبقى قرية إلى الأبد.

﴿...أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ ...٥٨﴾

أمَّا إن كان أهلها ظالمين، وكانت فيها الفاحشة، وارتُكِبَت فيها المعاصي، فهذه المدينة سوف تعذَّب عذابًا شديدًا في الدنيا!

﴿...كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾

وبعد هذا البيان فإنَّ كلَّ ما يجري في الكون معلوم لله تعالى،

مكتوب في أمِّ الكتاب، أي: اللوح المحفوظ.

وليست أخبارُ الزلازل والفيضانات والبراكين عنا ببعيد في هذا القرن! مدينة في أميركا الشمالية قُتِل فيها خمسة وثلاثون ألفًا في ساعات، بركان ثار وأذاب الثلوج، والثلوج سببت الفيضانات! ما بقي منها أحد، تحت سمعنا وبصرنا.

[وما انتشار فيروس كورونا في العالم في هذه السنة (٢٠٢٠م) وإصابته للملايين من البشر في جميع أنحاء الأرض، وقَتْلِه مئات الآلاف من البشر، إلا آية من آيات الله الكونية، تحمل تحذيرًا لبني البشر كافة، فهل من معتبر؟!]، قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ...﴿٥٩﴾﴾

لو أرسل اللهُ تعالى الآياتِ التي سألوا عنها ليؤمنوا، ثم كذبوا، فسيصيبهم من العذاب مثلُ ما أصاب الأقوامَ المكذِّبين قبلَهم؛ فلذلك لم يُنزِلْ هذه الآيات.

﴿...وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴿٥٩﴾﴾

(التخويف) في اللغة المحكيَّة يقتضي عدم تنفيذ الوعيد، لكن التخويف في القرآن الكريم يعني التخويف بالمعنى اللغوي الدقيق، من أجل أن يتوبوا، من أجل أن يتَّعظوا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ... ﴿٦٠﴾ ﴾

أي: يـا محمد، اطمئِـنَّ، فالخَلقُ كلُّهـم بِيَدِ الرحمـن، إذا قال: كن يكون، زُلْ فيزول.

قـال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائـدة:٦٧]، أي: لا تخف يا محمد، إن اللهَ عز وجل ناصِرُكَ عليهم في الوقت المناسب.

﴿ ...وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ... ﴿٦٠﴾ ﴾

حينما أُسـريَ بالنَّبيِّ محمدٍ ﷺ إلى بيتِ المَقْـدِس، ثم عُرِجَ به إلى السـماء، أراه اللـهُ مَلَكوتَ السـماواتِ والأرض، وأطلعَهُ على بعض ما كان، وما سـيكون، وعندما عاد النبيُّ عليه الصلاة والسلام إلى مكة قصَّ على الناس ما رأى.

ليـس معنَى (الرُّؤيا) هنـا رؤيا المَنام، بل الرُّؤيـا بالعين، هذه الرؤيا التـي رآها النبـيُّ عليه الصلاة والسـلام وهـو في السـماوات، رأى يوم القيامـة، وكيف أن أهل الجنة في الجنة يتنعَّمون، وكيف أن أهل النار في النار يُعذَّبون، رأى آكلي الربا، ورأى الزُناة، ورأى الذين يعقّون آبائهم ما مصير كلٍّ منهم، أطلعه علـى مرتبته ومكانته، أطلعه على الأنبياء، أطلعه على أشـياء كثيـرة، ثم فرض عليه وعلـى أُمَّتِه الصلـوات الخمس، كان الإسـراء والمعراج إكرامًا للنبي عليه الصلاة والسـلام بعد مِحَنٍ شديدة ألمَّت به.

قال كفار قريش: يا أبا بكر، يزعُمُ صاحبُك أنه ذهب إلى بيت المَقْدِس! وأنه عُرِجَ به إلى السماء! وأنه رأى كذا وكذا! فما زاد على أنْ قال: إنْ قال هذا فقد صدق! لذلك لقِّبَ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه.

الناس مع هذه الرؤيا انقسموا إلى ثلاث فِرَقٍ:

فريقُ الكفار، وهؤلاء استخفُّوا بقوله.

وفريقٌ ضعيف الإيمان ارتد على أدباره.

وفريقٌ زادته هذه الرؤيا إيمانًا.

هذه المعجزة التي خُصَّ بها النبيُّ الكريم ﷺ لم تكن تحت سمع الناس وبصرهم، فلو كانت كذلك ولم يؤمنوا لاستحقُّوا الهلاك! قوم موسى رأوا البحرَ بأعينهم قد أصبح طريقًا يَبَسًا! وقوم صالح رأوا الجبل قد خرجت منه الناقة بأعينهم! لكن قوم النبي محمد عليه الصلاة والسلام لم يروه بأعينهم؛ لذلك فرحمةً بهم نُقِلتْ لهم هذه المعجزة خبرًا، ولم تكن رؤية عين.

لقد افتُتِنوا بهذه الرؤية، ومعنى افتتنوا بها أي: ظهروا على حقيقتهم.

﴿...وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ...﴿٦٠﴾﴾

في الآية تقديم وتأخير، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس. والله سبحانه وتعالى أخبرهم عن شجرة الزقوم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٤-٦٥]، وهذه الشجرة التي ذكرها

اللهُ في القرآن كانت أيضًا فتنةً للناس، بعضُهم صدَّق، وبعضُهم كذَّب.

﴿...وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

هؤلاء المتشبِّثون بكفرهم وشِركهم وشهواتهم، لا يزدادون - عند سماع الآيات - إلا تشبُّثًا وعصيانًا وبُعدًا وعُدوانًا، وهكذا فعل إبليس، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ...﴿٦١﴾﴾

أراد اللهُ تعالى أن يذكِّر المؤمنين بأن إبليس وأعوانه أعداءُ آدم وذريته؛ ليحذروا من وسوستهم وإغوائهم، فابتدأ بوصف تصرفاته من وقت خلق آدم عليه السلام وحتى إنذار اللهِ له، فإبليس كان متكبرًا، أَبَى أن يسجد لسيدنا آدم، وقال:

﴿...قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

قال إبليس: أنا من نار، وهذا من طين، أأسجد له؟ استنكف أن يسجد له، ثم قال:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

أي: أرأيت هذا الذي كرمته عليَّ، هذا الإنسان أنا سوف أحتويه، سوف أُضِلُّه، وأوسوس له وأُغويه، سوف أجعله يعصيك، سوف أجعله يحب الدنيا، إلا قليلًا من المؤمنين المخلِصين، هؤلاء لا أقوى عليهم، لا أستطيع أن أُضِلَّهم، فقال الله عز وجل له:

﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ ﴾

أي: اذهبْ أنت ومَن تبِعك من ذرية آدم...

إن إبليسَ وأعوانَه الشياطينَ ليس لهم على الإنسان سلطانٌ أبدًا، كلُّ ما يملكه إبليسُ هو أن يوسوس، والفطرةُ تُلهِمُ الإنسانَ الصوابَ، فإن اختار اتِّباعَ إبليسَ فهو على شاكلته، ويستحق النار، وإن أبَى وأطاع ربَّه فهو يستحق الجنة.

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ... ﴿٦٤﴾ ﴾

الاستفزاز: هو التحريض والإثارة، بمعنى أنه لو استفزني أثارني.

قال بعضهم: الصوت هنا الوسوسة، ولأنها لا تعني شيئًا سُميت صوتًا تحقيرًا لها!

هناك معنى آخر للصوت في هذه الآية: وهو الغناء الماجن، وهذا الغناء يُنبِتُ النِّفاقَ، فالأغاني التي تثير الشهواتِ، وتصف العَوراتِ... هذه كلها من مزامير الشياطين.

﴿ ...وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ... ﴿٦٤﴾ ﴾

بعض المفسرين قال: هذه صورةٌ من صُوَر إيقاع الشيطان للإنسان، أنت إذا رأيت إنسانًا متحصِّنًا تصيح به إلى أن يخرج، فإذا خرج تحيط به من كل جانب، تحيط به بالفرسان والمشاة، من أجل أن تقضي عليه، فكأنها معركة، الله عز وجل يصف لنا معركة.

أي: أن إبليسَ يدعوهم أولًا، يوسوس لهم، ثم يُوقِعُهم، يجعل كَسْبَهم حرامًا، أو يجعلهم يُنفقون هذه الأموالَ على المعاصي... المعنيان كلاهما صحيح.

﴿...وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

الشيطان يَعِدُ الإنسانَ وُعودًا كثيرة كاذبةً، يَعِدُه بالدنيا وبزينتها، وبزخرفها، بمُتَعِها ومباهجها، فينساق إليها على حساب كرامته ومبادئه، على حساب قِيَمه، ودينه، ومروءته، فيُقْبِل عليها، فيأتي الموت بغتة، ويُصْعَقُ عِنْدَه بعد فوات الأوان.

ويعِدُ الشيطانُ الإنسانَ بأنْ ينجُوَ من عذاب الله، ثم بعد ذلك يشمت بهؤلاء المتبعين له، ويقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وعود الشيطان كاذبة لا أساس لها من الصحة.

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

إذا كنتَ من عباد الله المخلصين، لو اجتمعت الإنس كلُّها والجنُّ على أن يحرفوك عن طريق الحق لا يستطيعون.

من اعتصم بالله عز وجل، واستعاذ به، وأقبل عليه، واستقام على أمره وصبر، لن تستطيع الشياطين - ولو اجتمعت - أن تخرجه عن استقامته.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

كلمة (رب) تعني - هنا - المُمِدّ، الله سبحانه وتعالى تفضَّل علينا بنعمة «الإيجاد»، وبنعمة «الإمداد»، وبنعمة «الإرشاد»، فرَبُّ العالمين أي: الذي يمدهم بما يحتاجون، ومن كلمة (رب) اشتُقت كلمةُ التربية، العناية والرعاية، والملاحظة، والتصحيح، والإمداد والإشراف، كل هذه المعاني مشتقة من التربية، والذي يربي أولاده يعرف معنى التربية، هذه المعاني مبسطة يعرفها الجميع من خلال الممارسات اليومية، لكن الله سبحانه وتعالى رب العالمين، أنت قد تضيق ذرعًا بعِدَّة أولادٍ تربيهم، لكن الله سبحانه وتعالى ربُّ كلِّ العوالمِ، صبور، ودود، رفيق، لطيف، غفور، رحيم بهم.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ... ﴿٦٦﴾ ﴾

أزجى: بمعنى دفع، والفلك: هي السفن.

أي: ربكم الذي خلقكم، والذي يتولى شؤونكم، والذي يمدكم بما تحتاجون هو الذي يزجي لكم الفلك.

لن تقوم سفينة، أو تطفو على سطح الماء، إلا بفضل الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل خلق الماءَ ذرَّاتُه متماسكةٌ، بحيث أن كلَّ جسم يُغْمَسُ في الماء كأن هناك قوة تدفعه نحو الأعلى، هذه الحقيقة سميت «قانون الدفع»، ولولا هذا القانون الإلهي الكوني، لما كانت الفلك في البحر! مبدأ السفُن كلُّه يصبح لاغيًا، والله تعالى الذي جعل الرياحَ تدفعها نحو أهدافكم، وحينما استُبدِل الشراعُ بالمحرك استخدم الناسُ الوقودَ، ومَنْ خَلَقَ الوقود؟ الله سبحانه.

هذه الآية في القرآن الكريم تَرِدُ كثيرًا في مَعرِضِ البحث عن الرزق، أي: في التجارة مع السفر، فالإنسان حينما يبتغي من سفره هذا أن يصيب تجارةً، فهذا اسمه ابتغاء من فضل الله عز وجل.

﴿...إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ٦٦﴾

رحمتُه في البحر، فيما في البحر، من السمك والحُلِيّ، ورحمتُه في البَرِّ، وفي الطرق وفي الصحراء، وفي الجبال، وفي الوديان، وفي السهول وفي الأنهار، وفي النباتات، وفي المحاصيل، وفي الأمطار، وفي الأشجار المثمرة، في الحيوانات والطيور، وفي خلقنا، وفي خلق أولادنا... كل هذا من مظاهر رحمة الله عز وجل.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ...٦٧﴾

هذه الآية أصلٌ في أن الإنسان مَفْطُورٌ على الإيمان بالله، فلو ركب مجموعةٌ من الناس طائرةً أو باخرةً، وكان فيهم المُلْحِدُ، وفيهم الكافرُ، إذا هبت عاصفةٌ هوجاءُ، وأصبحت الأمواجُ كالجبال، دَقِّقْ في وجوه هؤلاء جميعًا، على اختلاف دياناتهم، ومعتقداتهم، وأهوائهم، وقيمهم، وعلى اختلاف انحرافاتهم، كلُّهم جميعًا بصوت واحد ينادون: يا اللَّه! لكنَّ الشهواتِ ومشاغلَ الدنيا والأطماعَ هذه كلُّها تطمِسُ الفطرةَ.

﴿...ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ...٦٧﴾

الإنسانُ حينما يُصاب بمرضٍ عُضالٍ، مَنْ يدعو؟ هؤلاء الذين عصى اللهَ من أجلهم إذا دعاهم هل يُنقِذونه؟ لن يستطيعوا...

كل شركائكم ضلوا عنكم فلم تجدوهم.

هذه الصورةُ ليســت مختصَّة بالبحر، الإنســان يتعرَّض لمشكلاتٍ صعبــة في مراحل حياتــه، فيبدأ يُصلِّي، ويغُضُّ بَصَــرَه، ويتصدق، ويأمر أهلــه بالصلاة، فـإذا زال الخطر، عاد إلى مــا كان عليه من معصية!! هذه أخلاق الانتهازيين!

﴿...فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

الإنسان يجب أن يراقب نفسَه، هل يختلف دعاؤه في أيام الشدة عن أيام الرَّخاء؟ إذا كان كذلك فيجب على المرء أن ينتبه ويعود إلى ربه.

الإنســان الذي لم يتعرف إلى الله عز وجل فـإن طبيعة الكفر ناتجة من إدباره، من إعراضه، والعياذ بالله.

ثم رَبُّنا عز وجل يُذكِّرنا بقوله:

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ...﴿٦٨﴾﴾

هــذا الذي يجلس في بيته، مــا الذي يمنع أن يصيــبَ البيتَ زلزالٌ، هذه المُدُنُ الضخمة التي أصابها زلزالٌ في ثوانٍ معدودة أصبحت ركامًا، أصبحت خبرًا.

الإنســان تحت رحمــة الله عز وجل في كل لحظــةٍ، وفي كل بقعة، انتبهوا.

﴿...أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ...﴿٦٨﴾﴾

الحاصب: رياحٌ عاتيةٌ محمَّلةٌ بالحصا.. ربُّنا عز وجل في آية أخرى قــال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ

أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعام:٦٥]، ﴿مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ هذه البراكين، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ هذه الزلازل، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ بأن يذوق الإنسان جَبَروتَ إخوتِه وأصحابه، وهذا قد يكون عليه أشد من الزلزال، وأشد من البركان.

﴿...ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨﴾

الإنسان أحيانًا يوكِّل إنسانًا ليتابع قضيةً، أو يوكِّلُ محاميًا ليدافع عنه، أو يوكِّلُ طبيبًا يعالجه، أو يوكِّلُ إنسانًا يدير له أعمالَه، ولكن في ساعات الشدة، لن تجدوا سوى اللهِ تعالى هو الذي يتوكل في حفظكم والدفاعِ عنكم، أو في إزاحة الخطر عن كاهلكم، وكذلك الأمر في مثل حال وجودكم في البحر أو في الجو أو في البر...

﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ...٦٩﴾

الآن لدينا حال آخر: ركبتَ البحرَ، ورأيتَ الأهوالَ، وهبَّت عاصفةٌ هوجاءُ كالجبال، وشهِدتَ أنه لا إله إلا الله، وأنجاك الله منها، ثم عاهدت اللهَ ألَّا تركب البحر في حياتك كلِّها، الله عز وجل قادر على أن يُغرِيك بركوب البحر مرة ثانية! قد يقال لك: هناك رحلة بحرية، والأسعار مغرية، والأماكن جميلة مثلًا، أنت في هذه الحالة قد تستجيب لهذا الإغراء، وتركب البحر مرة ثانية.

﴿...فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ...٦٩﴾

في شمال بريطانيا بنوا قاعدةَ استخراجِ نفطٍ عائمةٍ على سطح الماء، وقد قيل عنها وعن عظمتها وعن أنها من إنجاز البشر! عاصفةٌ واحدة

أبادتها، إذَنْ، هنا الإغراق لأنكم كفرتم، وكأن الإغراق جزاء موافق لهذا الكفر.

﴿...ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

التبيع: المسؤولية، إذا سبَّب إنسانٌ لإنسان ضررًا، يدَّعي عليه بأنه مسؤول، أما إذا غرقتْ سفينةٌ بفعل عاصفة هوجاء، فمَن هو المسؤول؟ من أين نأخذ تعويضاتِ هذا الغرق؟ يقولون لك: هذا قضاء وقدر، ويُطوَى الملف.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴿٧٠﴾﴾

الإنسانُ مُكَرَّم، كرَّمه اللهُ بالعقلِ، كرَّمه بأنْ وضع فيه استعداداتٍ لعمارة الأرض وشقِّ الطُّرُقاتِ... أعطاه فكرًا هو أفضل ما في الكون، الحيوانات كلها، هل رأيتم أن صنفًا من الحيوان تطوّر؟ طوَّر نظامًا خاصًّا وحدَهُ، اخترع آلةً ما؟

﴿...وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...﴿٧٠﴾﴾

جعلك تأكل الفاكهةَ، وتُلقي قشرَها إلى الحيوان! كل فاكهة لُبُّها لك، جعل لك لحومَ الأنعام والطير ومعظم الخضروات والفواكه... أليس هذا تكريمًا لبني آدم؟

﴿...وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

أنت مكرَّم ومفضَّل على سائر مخلوقات الله في الأرض، فكيف يكون كلُّ شيءٍ في الكون يسبح بحمد الله، وهذا الذي كرّمه اللهُ على بقية المخلوقات غافلٌ عن ذكر الله؟!

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

في حركة الإنسان في الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:٤]، هذا الذي دعا الناسَ إلى أكل الربا، والذي دعاهم إلى الربا هو إمامهم...

آكلو الربا يُدْعَوْنَ زُمرَةً! والسارقُونَ، وشاربو الخمرِ، والذين اعتقدوا أن الآخرةَ باطلٌ، والذين أنكروا وجود الله عز وجل، والذين انغمسوا في الملذَّات الرخيصة... والذين عرفوا اللهَ عز وجل، والذين عَمَرُوا المساجدَ، والذين أقامُوا الصلاة، والذين حفظوا القرآنَ... كلٌّ يأتون زُمَرًا زُمَرًا، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١]، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣].

الذي كان قدوةً لهم، ودفعهم، وزيَّنَ لهم، هو إمامُهم الذي كانوا يتبعونه.

﴿...فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ...﴿٧١﴾ ﴾

أي: مَن استلم كتابَ أعمالِه بيمينه عند الحساب في الآخرة.

﴿...فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

عندما يأخذ الطالبُ شهادتَه، وكلها امتيازٌ، يقرؤها عدةَ مراتٍ! كلَّ ربع ساعة يتأملها، الكلماتُ الطيِّبةُ فيها، والمآثِرُ، والامتيازات، والثناء... وكذلك يأخذ أصحاب اليمين صحيفتهم يوم القيامة، ولا ينقص من

أعمالهم شيء ولو كان مقدار الخيط الرقيق الذي في نواة التمرة.

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾

مَن كان في الدنيا أعمَى عن هذه الأعمال ونتائجها فهو في الآخرة أعمى أيضًا، ربُّنا عز وجل قال: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

فالعمَى عمَى القلب، الذي يصيب الإنسانَ ويُضلُّه في الدنيا، يستمر معه إلى الآخرة! شيءٌ خطيرٌ أن هذا المرضَ العُضال (عمَى البصيرة) ملازمٌ لصاحبه إلى الأبد.

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ ﴾

الكفار أحيانًا يساومون أهلَ الإيمان، يطلبون منهم التخلِّي عن بعض مبادئهم، أو أن يُعدِّلوا مبادئهم تعديلًا خفيفًا، [وقد صرَّح بذلك شيخُ الأزهر علنًا عندما طلبت منه بعضُ حكوماتِ الغَرب أنْ يعدِّل في بعض أحكام الشرع]، لو أن أهل الإيمان قبلوا هذه المساومة، أو أن يتساهلوا قليلًا لانتهوا! هذا الدين ليس فيه حَلٌّ وسطٌ، إما أنْ تأخذَه كلَّه، وإمَّا أنْ تدَعَهُ كلَّه.

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ... ٧٣ ﴾

يعنِي يُغْرُونك بمقابلٍ على أنْ تنحرف قليلًا، أنْ تسكت عن بعض الأفكار، أن تكُفَّ عن أن تَعِيبَ آلهتهم، يرغبون في إبعادك خطوة خطوة.

﴿...لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾

عندما يَقبلُ الإنسانُ أنْ يتزحزح عن مكانته وعن مبادئه وعقيدته وقِيَمِه، فقد يتخذونه صديقًا حميمًا وخليلًا، شيء طبيعي، لكن من ابتغَى أمرًا بمعصية كان أبعَدَ مما رَجَا، وعَنْ علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [رواه أحمد].

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾

هذه هي العِصمةُ، كِدْتَ تركن، والرسول ﷺ قد علمه الله تعالى، وثبَّته، ولم يَركَن (لم يُلْقِ بالًا) إلى أقوالهم أبدًا.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

أي: لجازيناك عذابًا مضاعفًا في الدنيا، وضعفًا عند الممات، أي: عذابًا مضاعفًا في الآخرة، لأنه القدوة، والنبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو فعل ذلك - وحاشاه أنْ يفعل - لاستحقَّ هذا العذابَ! لذلك إذا كان الإنسانُ قدوةً فليتَّقِ اللهَ.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

كان كفار مكةَ يريدون استفزازك من الأرض التي تسكن فيها، أي: إبعادَك عن مكة، ولو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك منها إلَّا زمنًا قليلًا،

فسوف نهلكهم كما هي سُنَّتُنا في الأمم السابقةِ التي أَخرجَتْ أنبياءها أو قتلتْهم، لو أن اللهَ عز وجل زوَّد النبيَّ الكريم ﷺ بمعجزاتٍ رآها قومُه، وكفروا بها استحقوا الهلاكَ، ولكنه لم يُرِدْ ذلك لحكمةٍ...

الصلاة في وقتها

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾

مَعلومٌ أن دخولَ الوقتِ شرطٌ من شروط الصلاة، فالصلاة لا تصح إلا إذا دخل الوقت، فدلالة هذه اللام توقيفية، أي حين دلوك الشمس.

وغسقُ الليلِ هو ظُلمة الليل، لذلك بعض الفقهاء قالوا في هذه الآية: جُمعتْ فيها الصلواتُ الخمسُ، فصلاة الظهر والعصر لدلوك الشمس، تبدأان بعد زوال الشمس عن كبد السماء، وصلاة المغرب والعشاء تنطويان تحت قوله تعالى إلى غسق الليل، ﴿...وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ...﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت الصلاة في مواضع أُخرَى «رُكوعًا»، وسميت «سجودًا»، وسميت في هذه الآية «قرآنًا»، وهذا في البلاغة واردٌ، أن نسمِّي الشيءَ ببعض أجزائه المهمَّة، فقراءة القرآنِ في الصلاة ركنٌ من أركانها، فعلى هذا التفسير دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية.

﴿...إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾﴾

أي: مشهودًا من قِبَل الملائكة، والملائكةُ يشهدون لك يوم القيامة أنك قمتَ من الليل، وقرأتَ القرآنَ، وصليتَ بالقرآن.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ... ﴿٧٩﴾ ﴾

التهجُّد هو ترك الهُجود، والهجود هو النوم، وهذه الصيغة صيغة سلبية، تقول: تأثمت أي: تركت هذا الشيء مخافةَ الإثم، تقول: تحرجت أي: تركت هذا الشيء مخافةَ الحرجِ، تهجدت أي: تركتُ النومَ، فالتهجد أن تدع النوم لتصلي! ومنها صلاة التهجد، وهي صلاة فيها استيقاظ بعد أن تأخذ قسطًا من النوم.

إذا ألزمت نفسَك في النهار على طاعته، واتباعِ سنَّةِ النبي ﷺ، من كل انحراف، من كل معصية... أغلبُ الظن أنك تستيقظ لصلاة التهجد ولصلاة الفجر دون مُنبِّه، وتستيقظ لتُمْضِي أجمل ساعات العمر في مُصلَّاك! هؤلاء الذين عرفوا اللهَ وأحبُّوه، ما ذاقوا طعمًا أطيبَ من طعم القرب من الله تعالى.

المقام المحمود

﴿ ...عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾

بعض المفسرين قال: هذا الأمر خاصٌّ بالنبي عليه الصلاة والسلام، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ١-٧].

وبعض العلماء قال: إن هذه الآيات عامة لكل المسلمين.

والمقام المحمود خاصٌّ بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام، كما في

حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» [رواه مسلم].

وبعضهم قال: «المقام المحمود» هو الشفاعة العُظمَى يوم القيامة، حيث يشفع للخليقة عند فصْلِ القضاءِ، وعلى كلٍّ فالمقام المحمود هو أعلى مرتبة نالها البَشَرُ، وهو لسيد البشر محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

وكلمة (محمود) اسم مفعول، أي: إن صاحب هذا المقام ما وصله إلا لأنه محمودُ السيرةِ عند الخلق، وعند الحَقِّ، وعند نفسِه، وهذا مقامُ النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

قبل تفسير هذه الآية يجب ربطها بالآيات التي قبلها، وأسبابها، ومعانيها.

قال بعض المفسرين: إن الإنسان كلَّما واجه كيدًا، أو واجه صعوبةً، أو لاح له شَبَحُ مصيبةٍ، اغتمَّ قلبُه، فيسرع إلى القيام بعملٍ ما ليُخفِّف عنه هذه الأمور...

ربُّنا عز وجل يصف حالةَ النبيِّ ﷺ حينما يرى الصَّدَّ عن سبيل الله قويًّا، حينما يرى المعارضة تشتدُّ، فيفزَع إلى الصلاةِ، ولا يخفى ما في

الصلاة من خير كبير وفَرَجٍ.

لذلك جاء في تفسير هذه الآية: إن الله سبحانه وتعالى عندما أمره بالهجرة، أوحى إليه هذا الدعاء، أي: مدخلًا للمدينة ومخرجًا من مكة، لأن كفار أهل مكة قد تآمروا على الرسول صلى الله عليه وسلم ليطردوه من مكة.

﴿...وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠﴾

أي: ألهِمْنِي حُجَّتي، وأنْ أقف موقفًا صلبًا، وألَّا أقع تحت إغراء المال أو المنصب، وألَّا أقع تحت ضغط الآخرين.

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾

«الحقُّ» هو «الثابت المستمر»، و «الباطل»: «الطارئ غير المستمر»، فالحائط الذي بُني على غير ميزان دقيق سيكون مائلًا، ولا بدَّ أن يقع، فيكون باطلًا، أما الحائط الذي بني على الشاقول (وهو الميزان الذي يبيِّن الميلان) فسيبقَى صامدًا.

الباطلُ وجودُه ليس ذاتيًّا؛ هناك أسباب خارجية تجعله يقف مؤقتًا، فإذا زالت هذه الأسباب وقع! أما الحق فوجوده ذاتي، كإنسان ضعيف الإمكانات قد يوضع في مكان رفيع، بسبب إنسان آخر له مكانة رفيعةٌ دَعَمَهُ لهذا المنصِب، فهذا الإنسان الضعيفُ وجودُهُ في هذا المنصب بالباطل، لكن لو أن الإنسان عنده من العلم، والخبرة، والحكمة ما يجعله في مستوى هذا المكان نقول: هذا الإنسان استحق مكانه، أي: له الحق فيه، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، النبيُّ الكريم حينما أَمَرَ أنْ تُكسَر الأصنام التي في الكعبة وحولَها تلا هذه الآية.

وكلمة (زهوقًا) على وزن فَعُول، صيغة مبالغة من (زاهق)، فمن وقف مع المُبطِلين بشكلٍ أو بآخر، فقد غامر بسعادته، فليعلم بأن الله سبحانه قال: ﴿...إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، أما إذا كنت مع الحق فالعاقبة لك، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[القمر:٥٤-٥٥].

القرآن شفاء

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ...﴿٨٢﴾﴾

القرآن شفاءٌ ورحمة، يا تُرَى هل القرآن الكريم يشفي الأمراض المادية؟ أم أنه يشفي النفوس؟ أو يشفي العقول؟ علماء التفسير يرجحون أن القرآن يشفي العقل الجاهل من الجهل، فيُعرِّفه بالله عز وجل، إن أخطر شيء في الحياة وأَعْدَى أعداء الإنسان هو الجهل، فإذا عرفت من أنت، وأين كنت، وأين المصير، ولماذا خلقت؟ وما هو أجدى عملٍ تفعله على وجه الأرض؟ وما هي مهمتك على سطح الأرض؟ ولماذا تعمل الصالحات؟ إذا عرفت الحقيقة، وعرفت سر الوجود، شفي عقلك من داء الجهل!

من القراءة لهذا الكتاب الكريم تستنبط أنه ما من حالةٍ نفسيةٍ صعبة، وما من شعورٍ مملّ، وما من تمزقٍ نفسي، إلا بسبب البعد عن هذا

الكتاب، ولو أن الإنسان قرأ كلام الله بفهمٍ وتَبَصُّرٍ وتدبُّرٍ لزالت عنه كلُّ أمراضِه،

وقد يُقرَأ القرآنُ بنية الشفاء من بعض الأمراض التي تصيب الإنسان، بعد أن يستشفي عند الطبيب أوَّلًا، أَخْذًا بالأسباب، لعل الله عز وجل ينظر له بالشفاء الماديِّ أيضًا.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾

الظالم ينتقد هذا الكلام، ويرى أن هذا كلام ليس مناسبًا لهذا الزمان، نحن وصلنا إلى القمر، وهذا القرآن أكثر من ١٤٠٠ سنة، وهو سيُعيدنا إلى حياة الصحراء وحياة الجمال، هكذا يدَّعي بعضُهم، أو أن هذا القرآن يحتاج إلى تبويب وإلى تنظيم، وإلى تصنيف بحسب الموضوعات، أو أن فيه أحكامًا لا تصلح لهذه الحياة، وهي ذات قسوة بالغة، كحد السرقة، وحد الخمر، وحدِّ الزِّنَى، هذا كلُّه ممن يدَّعي الثقافةَ والعلمَ والفهمَ، فيجعل بينه وبين كتاب الله حجابًا سميكًا، الأمر الذي يجعله ينطلق في الحياةِ بدافع نزواته وشهواته، فيقع في الحرام، فيستحق العقوبة، وإذا فعل الإنسانُ ما يشتهي وَفْقَ وسوسةِ الشيطان، وَفْقَ ما تُمْليه عليه غرائزُه ومصالحُه، لو أطلق بصره، قد ينتهي به الأمر إلى تطليق زوجته، وخراب بيته، وتشريد أولاده، لو أكل مالًا حرامًا، ويقول عنه: هذا حلال، فإذا انكشف أمرُه حُكِم عليه بالإعدام، فأين المال هذا الذي اكتسبه؟!

بعض الناس يقول لك: اِقرأه؛ فيه بركة! القضية ليست قضية أن أتبارك بالقرآن الكريم فحسْب، هذا الكلام ليس له معنى عند الناس،

القرآن مجموعة قوانين وأحكام دقيقة، حَتْمِيَّة الحُدوث، تبدأ بالمقدمات، تصل إلى النتائج، والبركة الحقيقية تأتيك من تطبيقه، عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ» [رواه الترمذي].

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ...﴿٨٣﴾﴾

انظرْ إلى هذا النموذج الإنساني الذي لا يريده الله عز وجل!

قيل: إن شخصًا حصل على شهادة عُلْيا، وعاد إلى بلده، واستلم منصِبًا رفيعًا، سكن في أرقَى حيٍّ، وركب أفخمَ سيارة، وعاش حياةً حديثة غربية قائمة على المُتَعِ والملذَّات، والانغماس في الشهوات، فجأةً أصابه مرضٌ في إحدى عينيه، ما هي إلا أشهر عدَّة حتى فقد الثانيةَ! دخل عليه صديقه، قال له: والله، أتمنى أن أجلس على الرصيف، وأتسول، وأن يعيد الله إليَّ عينيَّ، سبحان الله! لماذا؟ لأنه نأى بجانبه عن الله تعالى وتعاليمه، أي: تكبَّر وأعرض بوجهه...

البطلُ هو الذي يعرف اللهَ في الرخاء، وهو في أوْجِ قوته، وشبابه، وغناه، هذه هي البطولة؛ لأنه من السهل أن تتعرف إلى الله تعالى في خريف العمر بعد أن تفرَّق عنك الناسُ، وذهب مالُكَ، وضعُفَ بصرُك، وشاب شعرُك، وأصبحت منزويًا في غرفتك، وأصبحت في مكانة لا تستدعي إلا الشفقة، عندئذٍ تبدأ بالصلاة، الآن؟ أين كنت في الشباب؟ أين كنت يوم كنت تمشي في الطريق متبخترًا، لذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَستجِيبَ اللهُ له عندَ الشَّدائدِ و الكُرَبِ، فلْيُكثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ» [رواه الترمذي].

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

كلُّ واحـدٍ منَّا له نفْسٌ، له طبيعة، له بُنْيَةٌ، - وتسـمَّى في علم النفس الحديث: سِـمات عميقة - يتحرك بموجبها، فهناك إنسـانٌ خَيِّرٌ بالطَّبعِ، يتمنَّى خدمةَ الناس! وآخَرُ مُعرِضٌ عن الله عز وجل، مُنْقطِعٌ عنه، فتكون نفسُه شـريرةً، يتلذَّذ بالإساءة للآخرين! هذه تُسـمَّى أيضًا «الشاكلة» أي -السجية الطبيعة-، أمَّا الجِبِلَّةُ -الخِلْقه- الطيبةُ فهي محصِّلةُ -فحوى- الإقبال على الله عز وجل.

إذَنْ، أنـت بين حالتين: إما أنك مُقبِلٌ على الله وتعاليمه، فلك جِبِلةٌ طيبة، لك شاكلةٌ خيِّرةٌ، لك نفس عزيزة كريمة مِعطاءة، وإما أنك مُدْبِر عن الله وتعاليمه - لا سـمح الله - فلهذا الإنسان نفس شريرة، جبلة مؤذية، طبيعة أنانية، كما يقولون، حرص على الذات، واستهانة بالآخرين.

وكأن اللهَ يقول: افعلوا ما شئتم! كلُّ واحد منكم له شاكلة، له جبلة، هذه الجبلة محصلة إقباله أو إدباره.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

هناك أشـياء فوقَ مدارك الإنسـان، هذه الروح لهـا وظائف خطيرةٌ جدًّا.

الكبـد إذا كان فيـه روح فهو يقوم بخمسـة آلاف وظيفة، والطحال إذا كان فيهـا روح فهـذا الطحال يقـوم بأخطر الوظائـف، معمل تحليل لكريـات الدم الحمراء، وتأخـذ المواد المعدنيـة وهيموغلوبين، وتبقي

الفضلات ترسلها إلى مكان آخر! إنه معمل دم احتياط، مقبرة، مستودع للدم! وكذلك العين أيضًا، ما قيمة عيون إنسان ميّت؟ لكن عين إنسان حيٍّ يرى بها العالَمَ، والألوانَ... هذه الأعضاء كلُّها موجودة، ومن غير الروح لا قيمة لها.

إذَنْ، فما هي الروح؟ إذا أوقفْنا إنسانًا على ميزان، وهو واقف على الميزان مات، هل يَقِلُّ وزنُه؟ لا يقِلُّ غرامًا واحدًا!، إذَنْ، أين الروح؟ ما طبيعة الروح؟ عندما يتجلَّى ربُّنا عز وجل على الإنسان بالروح، يتحرك، انظر إلى الإنسان الحيِّ ترَهُ مُؤنِسًا، إذا مات يخاف الناس من غرفته كلها! ما هذه الروح؟ موضوع الروح شيء عظيم جدًّا، إنه من أمر الله تعالى وَحْدَهُ...

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾

قيل: الحقُّ تعالى في هذه الآية يربِّي الكفارَ ويُؤَنِّبُهم، ويُبْرِئ ساحةَ رسوله ﷺ؛ فهو مُبَلِّغٌ عن الله تعالى، فإياكم أن تقولوا إنه قد أتَى بشيء من عنده، بدليل أنني لو شئت لسلبتُ ما أوحيتُ به إليه وقرأه عليكم وسمعتموه أنتم وكتبتموه.

ولكن سياق هذه الآية يدل على أن هذه العملية لم تحدث؛ ثم يوضح لنا الحق سبحانه أنه إن ذهب بما أوحاه لرسوله فلن يستطيع أحد إعادته لقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾، أي: لن تجد منَّا ناصرًا لك يحول بيننا وبين ما نريد بك...

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

وهذا امْتِنَانٌ من الله تعالى على رسوله بأنه تعالى قادرٌ على مَحْوِهِ من صدره ومن كُتُبه، فلا تبقَى منه آيةٌ، ثم لا يجد الرسولُ وكيلًا له يمنعه من فِعْلِ اللهِ به ذلك، ولكنْ رحمةً منه تعالى لم يشأْ ذلك، بلْ يُبقِيه إلى قيام الساعةِ حُجَّةً له على عباده، وآيةً على نُبُوَّة محمدٍ ﷺ وصِدْقِ رِسالتِهِ.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

اللهُ سبحانه وتعالى جعل مُعجِزاتِ الأنبياء تنقضي بانقضاء عَصْرهم، ولكنَّ القرآنَ الكريمَ الذي جُعِل معجزةً خالدة للنبي عليه الصلاة والسلام، هو بين أيدي كل المسلمين!

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

لا يمكن لأحدٍ في الكون أن يأتي بمثلِ هذا القرآنِ؛ لأنه من عند الله تعالى، إنه كلام الله، وهو شامل لكل حاجات الإنسان، هذا القرآنُ الكريمُ مَضامِينُه مُتعدِّدةٌ، فيه مضمون «تربوي»، فيه مضمون «صحِّي»، مضمون «اجتماعي»، مضمون «اقتصادي»، مضمون من كل ما نحتاجه، في صياغة معجزة، لا ترقَى إليها صياغةٌ، وفيه مفتاحُ سعادتنا في الدنيا والآخرة، وأخبارُ الأمم السابقة، أخبار ما سيكون بعد مُضِيِّ الأيام، وفيه إشارات إلى الحياة الآخرة، وتوضيح وصور، لذلك الله عز وجل جعل هذا القرآن دستورًا لنا.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾

معنى صَرَّف: قَلَّبَ، ففي القرآنِ أمرٌ ونَهيٌ، ووعد ووعيد، وقصةٌ ومَثَلٌ، وحكمةٌ وخبر صادق، ووعد لاحق، وصورة من عالم الأزل... تنويعٌ دقيق جدًّا، تنويع في السورة الواحدة، وترتيب القرآن ترتيبٌ نفسيٌّ، تقرأ السورةَ فيها آيةُ الوعيد فتخاف، وتأتي آيةُ الوعد فتتفاءل... سبحان الله.

قال بعض العلماء: إن هذه الآية دليل قطعي على أن الإنسان مخيَّرٌ، فأكثر الناس كان بإمكانهم أن يستجيبوا فأبَوا.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

هذه الآيات لها سبب نزول، فقد ورد في التفاسير أن رؤساء قريش لما عجزوا عن مُعارضة القرآن، ولم يرضَوا به معجزةً، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد [صلى الله عليه وسلم] فكلِّموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فَأْتِهم! فجاءهم النبي عليه الصلاة والسلام، وهو يظن أنهم أرادوا أن يؤمنوا، ففرح بهذا اللقاء.

فقالـوا: يا محمد، لن نتابعك على مـا تدعو إليه من التوحيد والنبوة لـك والبعث والجـزاء لنا حتـى تفجر لنا عينًـا يجري ماؤهـا على وجه الأرض لا ينقطع، أو يكون لك بسـتان من نخيل وعنب، وتمشي خلاله الأنهار، أو أن تسقط علينا قِطعًا من السماء كما زعمْتَ، أو تأتي [والعياذ باللـه] بالإلـه والملائكـة لنراهـم بأعيننـا، أو يكون لك بيـت من ذهب تسـكنه بيننا، أو تصعد بسـلم (درج) إلى السـماء، ولـن نؤمن لصعودك حتـى تأتي إلينا بكتاب (رسـالة) من عند الله نقـرؤه، يأمرنا فيه بالإيمان بك وباتباعك!! هذه سـتة طلبات متى شـاهدوها زعموا أنهم يؤمنون!! والله تعالى يعلم أنهم لا يؤمنون؛ فلذا لم يسـتجبْ لهم، وقال لرسـوله: قل - يا محمد - لهم متعجِّبًا لطلباتهم: سـبحان الله!! ما أنا إلا رسـولٌ من البشر، وما تطلبونه لا يقدر عليه عبدٌ، إنما يقدر عليه ربٌّ عظيم قادر، يقول للشيء: كن.. فيكون.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

أي: قـلْ لهم - يـا محمدُ -: إنه يجب أن يكون الرسـولُ من جنس المُرسَـلِ إليهم! فلَوْ أنَّ الرسـولَ ملكٌ عظيم، وأمرَهُم بغضِّ البصر، ماذا يقولون؟ أنتَ مَلَكٌ ونحن بَشَـرٌ، أما إذا كان الرسـول من جنسـهم بشَرًا، فسلوكه حُجَّةٌ عليهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

الله عز وجل كيف يشهد؟ سؤال دقيق جدًّا، مَن منكم سمع اللهَ عز وجل يشهد للإنسان أن هذا القرآن كلامه؟!

عندما قال ربنا عز وجل: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦]. يمحق: أي: يهلكه ويبدده ويذهب بركته، محق المال الحرام شهادة من الله عز وجل! ونماء المال على إثر الصدقة شهادة من الله عز وجل، فتحقُّقُ الوعدِ والوعيد هو الشهادة. فأكبر شهادة لله عز وجل على أن هذا القرآن كلامه أنَّ وعده ووعيده واقعٌ لا محالة في كل زمان ومكان.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

الهُدَى من عند الله عز وجل وَحدَهُ، مَن ترك اللهَ، من أعرض عنه، لا يمكن أن يكون مهتديًا! الهدى هو هدى الله، فمن لم يهتدِ بهدى الله فهو الضَّالُّ! ماذا بعد الحق إلا الضلال؟ هذا المعنى مُستنبَطٌ من تلك الآية.

لو اتسعتْ ثقافةُ الإنسان، لو قرأ آلاف الكتبِ، لو تعمَّق في نظرية ما، لا يسمى مهتديًا إلا إذا عرف الله عز وجل، إلا إذا طبق المنهج الذي أنزله الله عز وجل.

إذا رفض الإنسان هدى الله عز وجل، وأعرض عن الحق، عندئذٍ يُضلُّه اللهُ! بمعنى أنه يحرمه كل الميزات التي يستحقها الذي اختار الهدى!

﴿...عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا...﴿٩٧﴾﴾

فـي الدنيا كانـوا عميًا عن الحق، فحُشـروا عميًا يـوم القيامة، وفي الدنيا كانوا بُكمًا لا ينطقون بالحق، ينطقون بالباطل، فحُشروا يوم القيامة بُكمًا، في الدنيا كانوا صُمًّا عن سماع الحق، فحُشروا يوم القيامة صمًّا.

﴿...مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

هـذا عذاب النار، وهـو حقٌّ، والسـعير هو لهيب النـار الذي يلفح الوجوهَ، وهو حقٌّ أيضًا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

فسـواءٌ أَكَفَرَ الإنسـانُ بآيات اللـه الكونية التي بثَّها في السـماوات والأرض، أو كفـر بآيات القرآن الكريـم، فالنتيجةُ أن جزاءه جهنم خالدًا فيها أبدًا.

وقـد يقول بعـض الناس: وهـؤلاء الذين يُحرَقون بعـد الموت في الهند، وهؤلاء الذين تُحرَق مركباتهم في الجو، أين هم؟ كيف يجمعهم الله عز وجل؟ ردَّ اللهُ عليهم بقوله تعالى:

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

خَلْـقُ السـماواتِ والأرضِ، أليس دليلًا قاطعًا على قـدرة الله غيرِ المتناهية؟ الذي خلق السماوات والأرض أَيُعْجِزُهُ أن يعيد خلقَ الإنسان مرةً ثانية؟

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾

الإنسانُ بطبعِهِ قَتُورٌ، شحيحٌ، يخشَى أن يُنفِق، فينتهيَ المخزونُ الذي عنده! لكنَّ المؤمنَ مِعْطَاءٌ.

الإنسان أحيانًا يمنع عطاءَه لمَنْ يخالف أَمرَهُ، يعاقبُه بالحرمان، أما الواحد الدَّيَّانُ فيعطي، ويُطعِم، ويرزُق، ويُنزِّل من السماء ماءً، والقومُ يعصُونه!

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١﴾

هناك علاقة بين هذه الآية والآيات السابقة (٩١-٩٣)؛ حيث إن ربَّنا عز وجل ردَّ على هؤلاء أن قوم موسى رأوا تسعَ آياتٍ بَيِّناتٍ، رأوا بأمِّ أعينهم كيف أن العَصا انقلبتْ ثعبانًا مُبِينًا، وكيف أن البحر صار طريقًا يَبَسًا في طريق سيدنا موسى وهارون وقومهما، والآياتُ الباقية ذُكِرتْ في سُوَرٍ أخرَى: القُمَّل والجراد والدم والضفادع واليد البيضاء والقحط بالسنين والنقص بالثمرات.. كل هذه الآيات هي خرق للعادات، ويستحيل على بني البشر أن يفعلوها، ومع ذلك: ﴿...فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١﴾، فرعون لم يؤمن، على الرغم من رؤيته كلَّ هذه الآيات التي لا يستطيعها بشر، وقال لقومه: إني لأرَى أن موسى ساحرٌ، فقال له موسى عليه السلام:

﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي

﴿لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

أي: لقد تَيَقَّنْتَ يا فرعون أنه ما أنزل تلك المعجزات التسعَ الشاهدة على صِدقِ نُبُوَّتي إلَّا ربُّ السماوات والأرض؛ لتكون دلالات يَستدِلُّ بها أُولُو البصائر (القلوب التي تدرِك) على وحدانية الله تعالى، وإني لعلى يقين أنك يا فرعون هالكٌ مغلوبٌ لا مَحالةَ.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

فأرادَ فرعونُ أنْ يستفِزَّهم (يخرجهم) من الأرض، ضايقهم، شدَّد عليهم، إلى أن حملهم على أن يتركوا أرضَ مصر، فلما تركوا أرض مصر تَبِعهم ليُعيدهم إلى سلطانه! و ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢]، هناك دعا موسى ربَّه، وألقَى العَصا في البحر فانشقَّ، وأصبح البحر طريقًا، تبعهم فرعون وجنودُه، فلما خرج سيدُنا موسى ومَنْ معه أدرك فرعونَ الغرقُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠]، فقال تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩١].

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

المقصود بالأرض أرضُ الشام، فلسطينُ وما حَولَها، و (وعد الآخرة) المقصودُ به يوم القيامة، تأتون إلينا أنتم، ومن خاصمتم، ومن صادقتم، ومن وعدتم، ومن خدعتم، وقد جئنا بكم لفيفًا، وسنحاسبكم حسابًا دقيقًا.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

مضمون هـذا الكتاب (القرآن) حقٌّ، ومعنى الحـق: الحقيقة الثابتة ذات الهدف النبيل.

والباطـل: هو الشـيء الطارئ، الشـيء الزائل، واللعب: هو العمل العابـث غيرُ الهـادف، فكلُّ ما جاء بـه القرآنُ مطابقٌ للحـقِّ، وللحقيقة، وللواقـع، وللمنطـق، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ...﴿١٠٥﴾﴾، أي: إنما أُنْزِلَ هـذا القرآن على هذا النبـيِّ ﷺ بالحق؛ لأنه أَهْلٌ لحمل رسـالة القرآن، التي هي رسالة الله تعالى.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

نـزل القرآنُ مفرَّقًا (أي: على مراحل) خلال ثلاثةٍ وعشـرين عامًا، بحسـب المناسـبات، كأن الله عز وجل ربَّى أصحـابَ النبي ﷺ، وكأنه بهذه التربية يريد تربيةَ الأجيال من بعدهم.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟ ۚ...﴿١٠٧﴾﴾

أي: سِيَّان، إنْ اعترفتم بأن القرآن حقٌّ، وإن لم تعترفوا به، اعترافُكم به لا يزيده قوةً، وإنكاركم له لا ينقص من مكانته.

﴿...إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

من هنا قال أصحابُ رسـولِ اللـه: أوتينا الإيمانَ قبل القرآنِ؛ لأنهم آمنوا بالرسول قبلَ وخلالَ نزول القرآن، ولم يكن مكتملًا بعد.

لو أنَّ الإنسان فكَّر في مَلكوت السماوات والأرض، لعرفَ أنَّ لهذا الكـون خالقًا عظيمًا، رحيمًا، عليمًـا، غنيًّا، قديرًا، إذا تأملتم في ملكوت السماوات والأرض عرفتم اللهَ، فإذا قرأتم آياتِه القرآنيةَ خشعتْ قلوبُكم، وسجدتم لله تعالى إجلالًا وتعظيمًا.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾

أي: يقـول المؤمنون وأولو العلم عند سـجودهم: «سـبحان الله»؛ تنزيهًا لربِّنا، وتَبْرِئَةً له مما يقول المشركون.

وقـد اسـتنبطَ الإمامُ الشـافعيُّ رضي اللـه عنه من هـذه الآية أنَّ الإنسان إذا سجد سجودَ التلاوة قرأ في السجود قوله تعالى:

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

يخـرُّون للأذقان، أي: يبكون عند سـماعِ كلامِ اللـه خوفًا ووَجَلًا، وتَبْتَلُّ ذقونهم، وهذا البكاء بكاءُ الخشية، وهو أرقَى أنواعِ البكاء.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ... ﴿١١٠﴾﴾

وقال تعالى في آية أُخرى: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

الله سـبحانه وتعالى هو الرحيم، الكريـم، اللطيف، الغني، القدير، وإن هذه الدنيا دارُ ابتلاءٍ، ودار الْتِواءٍ، لا دارُ استواء، ومنزلُ تَرَح (حزن) لا منزلُ فرحٍ، فمَن عرَفَها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشـقاء والله تعالى يأخذ ليعطي، ويقبِض ليبسط، هذه مداواة ربِّنا عز وجل، يداوي، ويعالج الإنسان، فأسماؤه كلُّها حُسنَى، ولو كُشف الغطاءُ (أي: لو علمتم الغيب) لاخترتم الواقع، والرضا بمكروه القضاءِ أَرْفَعُ درجاتِ اليقين.

﴿... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

قال العلماء في هذا الآية: كانت توجيهًا لسيدنا محمد ﷺ أن لا يُعلِيَ صوتَه بالقراءة في الصلاة حتى لا يسمعها المشركون فيؤذوه، ولا يُسِرَّ بها إسرارًا؛ حتى ينتفع بقراءته أصحابُه الذين يُصلُّون وراءه، بل يقرأ بين الجهر والسر وسطًا.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

واحمَدِ اللهَ دائمًا، وقُمْ بتوحيده؛ لأنه تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، ولأنه الصَّمَدُ الذي ليس مفتقرًا إلى غيره! ولا ولدَ له كما يقول الكافرون، ولا شريك له كما يقول المشركون، ولم يكن له وليٌّ ينصُرُه؛ إذ هو العزيز الجبار مالك الملك ذو الجلال والإكرام، فعَظِّمْهُ وحدَهُ تعظيمًا كاملًا.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

إهداء ٥

مقدمة ٧

سورة الإسراء ١٧

١. آياتها..... ١٧

٢. تسميتها..... ١٧

٣. أسباب النزول ١٧

٤. فضل سورة الإسراء..... ١٩

٥. آيات الأحكام الموجودة في السورة:..... ٢١

٦. محاور السورة ٢٢

نص ومعاني الكلمات مع هداية الآيات ٢٤

التفسير الموضوعي «لسورة الإسراء» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله... ٤٩

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير سورة الإسراء ... ٧١

- السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة ٧١

- تعطل قانون الزمان والمكان في معجزء الإسراء والمعراج ٧٢
- شرف إضافة العبد إلى ربه ٧٤
- المعراج إراءة الآيات للنبي خاصة بعد الشدة والضيق ٧٦
- قاعدة مهمة -المعاملة بالمثل- ٨١
- المطبق للقرآن سعيد في الدنيا والآخرة..... ٨١
- من السعادة الدخول في هذا الوعد..... ٨١
- تأملوا صفات الإنسان في القرآن الكريم ٨٤
- معرفة الله من خلال آياته الكونية ٨٤
- سنة الله في الليل أنه راحة وسكون ٨٥
- أرزاق الدنيا لجميع الخلق وإنما بتفاوت..... ٩١
- الناس في الدنيا متفاوتون ٩٢
- مراتب الناس في الآخرة..... ٩٣
- العبادة لا تكون إلا لله وحده..... ٩٤
- نتيجة الشح أو الاسراف ١٠٣
- الله أعلم بما يصلح للعبد من الفقر أو الغنى ١٠٣
- من أعمال الجاهلية الأولى ١٠٤

- ما هو الخطأ؟ ١٠٥
- القول الأحسن ١١٦
- الصلاة في وقتها ١٣٧
- المقام المحمود ١٣٨
- القرآن شفاء ١٤١

الفهرس ١٥٧

3alamatnisurah